احذروا الحالقة

بقلم الدكتور

نجيب عبدالفتاح جيلاني

قدم له من أهل العلم

فضيلة الشيخ / عادل بن يوسف العزازي

فضيلة الدكتور / إبراهيم عبدالمنعم الشربيني

دار رواء للنشر والتوزيع

احـــذروا الحـــالقـــة

قَدَّمَ لَهُ مِنْ أهل العلمِ

فضيـــلة الشيـــخ/ عـــادل بن يوســـف العـــزازي

فضيلة الدكتور/ إبراهيم عبدالمنعم الشربيني

بقلم الـــدكتـــور

نجـــيب عبـدالفتـــاح جيـــلانـي

احـــــذروا الحـــالقــة

المؤلف: نجيب الجيـلاني

ط١ ـ القاهرة

دار رواء للنشر والتوزيع ٢٠١٧

٢٤٨ ص: ٢٤ سم

تدمك ٣٤٨ ٦٣٢٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الوعظ والإرشاد ٢١٣

رقم الإيداع / ١١٦٩٥/ ٢٠١٧

جميع الحقوق محفوظة

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

سـورة الأنفال الآيـة: "١"

﴿ شـــكر واجـــب ﴾

انطلاقاً من قوله ﷺ: ﴿مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ﴾[1] أتقدم بكل الشكر والتقدير والعرفان لكل من ساهم وعاون وساعد في إخراج هذا البحث[2]، ومنهم فضيلة الشيخ الدكتور/ **إبراهيم عبدالمنعم الشربيني** – حفظه الله– فمن وقته الثمين أعطاني، وبنصائحه الجليلة أفادني، وبتعليقاته القيمة نفعني.

كذلك فضيلة الشيخ/ **عادل بن يوسف العزازي**– حفظه الله– فقد كان لنصحه السديد، ورأيه الفريد، خروج هذا البحث الجديد.

ولا أنسى شيخنا الحبيب/ **زكريا حسيني** – رحمة الله عليه– وجزاه الله عني خير الجزاء، على نصائحه الطيبة، وكلماته العذبة، ورحابة صدره، فقد استقبلني في بيته، ونصحني بطبع هذا البحث قبل وفاته.

---

(١) **صحيح**: الترمذي في سننه (٣٩٩/٤) رقم (١٩٥٥)، وأحمد في المسند (٢٥٨/٢) رقم (٧٤٩٥)؛ والبخاري في الأدب المفرد (٨٥/١) رقم (٢١٧) بلفظ "لا يشكر الله من لايشكر الناس"؛ والطبراني في المعجم الكبير (٣٥٦/٢) رقم (٢٥٠١)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٤١).

(٢) **من الانصاف أن أذكر أنني –بفضل الله ﷻ– قد انتهيت من تصنيف هذا الكتاب منذ عام ٢٠٠٥م، ولكن حالت الظروف بيني وبين طبعه ونشره، وقد عدَّلتُ فيه قليلاً ليناسب الوقت. وهو أول كتاب أصنفه في حياتي وذلك قبل حصولي على الماجستير والدكتوراه.**

وفضيلة الشيخ الأخ/ **ثروت أبو المجد** – حفظه الله – الذي نصحني وأرشدني ووجهني وأسعدني.

كذا الدكتور/ **محمد السيد عبده عبدالرازق** – حفظه الله – على جهده المبرور، وقلبه الكبير، وسعيه الموفور.

كذا الدكتور/ **محمد ثروت السيد** – حفظه الله – رفيق العمر، وتوأم القلب، وقرين الدرب.

كذا الأستاذ الفاضل/ **ناجي عبدالله** – حفظه الله – اللغوي الواعد، والأدبي الماجد، والمحقق الصاعد.

وكل من كان له فضل عليَّ في إخراج بحثي ممن لم أذكرهم، وكذا أشكر أهلي وأقاربي وكل أهل: (**قرى بحر البقر . الحسينية . شرقية**)، وكل زملائي ومن عرفتهم وعرفوني، وبالدعاء تذكرتهم وتذكروني، فلهم مني خالص الشكر والتقدير والحب والعرفان، وأسأل الله ﷻ أن يغفر لي ولهم ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات، إنه ولي ذلك والقادر عليه ،،،

* * *

الإهـــــداء

أهدي هذه الرسالة لكل إخواني في مشارق الأرض ومغاربها، لكل من يحترم النص، لكل من هو علي الطريق يحبو مرة، ويمشي مرة، وتوقفه العقبات مرة ... لكل من اكتوى بنار الفرقة والبعاد عن رفقاء الغربة في دنيا الكساد ... لكل من حمل السلاح في وجه الكبر والعناد، فصار من مخلصي العباد، واستيقظ من الغفلة والسهاد، راجياً النجاة يوم التناد ... لكل من فقه معني الجهاد، فعلم أنه ليس – فقط- بالعدة والعتاد، بل بقهر النفس وتحرير الفؤاد ... لك أنت أيها الراحل بلا زاد ... أنت يا من طال بك النوم وتحكم فيك الرقاد... أنت يا من شتتتك "الحالقة" ومزقتك في كل واد ...

لكل من عنده يقظة الضمير، وإخلاص المسير، وانتظار المصير ... وأخص بالذكر كل علماء المسلمين الذين ساهموا في تبصير المقصرين وإرشاد الحائرين، ونزع رواسب الجاهلية من قلوب المستقيمين، بقية السلف الصالحين، في كل أرض وفي كل حين... ولا أنسى -بالطبع- بقية الأخوة الذين دائماً بالحق يُذكرون، وبالصبر يتواصون، وبالرفق يتعاملون، وبالصفح يغفرون، أصحاب الرسائل الصامتة والناطقة، وفي مقدمتهم أخي وحبيبي في الله أبو عمرو/ **ليثـي فـاروق آل جـارحي** ، متمنياً له دوام التوفيق في الدارين ... داعياً المولي ﷻ أن ينزع الغل والحقد والحسد من قلوبنا، وأن يصلح ذات بيننا، وأن يجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه ،،،

* * *

مقـــدمـات العلمـــاء

مقدمة فضيلة الشيخ (أبو عبدالرحمن) / عادل بن يوسف العزازي (حفظه الله)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وبعد:

فإن من أشد الأمراض التي يبتلى بها العبد، ما يوثر في قلبه، وينقص من دينه، وهي أمراض لا بد وأن يتنبه لها العاقل لإصلاح قلبه، وتزكية نفسه، وهذه الأمراض كثيرة، فمنها الجدال، وسوء الظن، والغضب، وغيرها من الأمراض التي تفسد العلاقات، و "تحلق الدين"، وتضيع الأخلاق.

ولما كانت هذه الأمراض تحتاج إلى وقفة للبحث عن أسبابها، وطرق علاجها، فقد قام الأخ الفاضل/ **نجيب عبدالفتاح جيلاني** بإعداد هذا البحث لدراسة هذه الموضوعات، وقد استفرغ وسعه، وبذل جهده، مستدلاً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ومسترشداً بأقوال السلف الكرام، فجاء بحثه نافعاً ـ إن شاء الله ـ لمن حرص على قراءته وتفهم عباراته.

وأرجو من الله ـ عز وجل ـ أن يتقبله منه، ويجعله في ميزان حسناته، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل، والله ولي التوفيق.

وكتبه

عادل بن يوسف العزازي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور/ إبراهيم عبدالمنعم الشربيني (حفظه الله)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..... وبعد ...

إن الرابط الذي يجمع المؤمنين هو رابط الأخوة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. ومن أعظم نعم الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة أن ألف بين قلوب أفرادها، وجمع بينهم بعد احتراقهم بنار الفرقة، وسعير العداوة ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

فالرحمة بين أفراد هذه الأمة هي الصفة المميزة لها عن سائر الأمم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾.

فالأخوة في الله صفة مرافقة للإيمان، فلا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة، وإن وجدت أخوة ولم تجد من ورائها إيماناً فليست بأخوة إنما هي إلتقاء مصالح وتبادل منافع، وإن وجدت إيماناً ولم تجد معه إخوة فهو إيمان هش ناقص يحتاج إلى تصحيح.

وإيجاد الروابط القوية بين المؤمنين هو السبيل لقيام دولة الإسلام، ولذا كان أول ما أسس به رسول الله ﷺ الدولة لما هاجر من مكة إلى المدينة أن آخى بين المهاجرين والأنصار.

ولما علم الشياطين ـ شياطين الإنس والجن ـ ذلك حرصوا على تفتيت تلك الأواصر، وإذابة تلك القوة المنيعة من الأخوة الإيمانية.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**﴾.

التحريش بين الأفراد، والتحريش بين دول الإسلام. ألا يحتاج ذلك كله إلى معونة المسلم لأخيه في الإسلام لمواجهة هذه الوحوش الضارية من أوربا وأمريكا واليهود الذين يكيدون للإسلام والمسلمين ؟

ألا يحتاج ذلك إلى تقوية الأواصر بين أفراد هذه الأمة، وجماعاتها، ودولها. ويجعل ذلك من أوجب الواجبات في المرحلة الراهنة، بل وفي كل وقت وحين.

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟﴾ قالوا: بلى. ﴿قال صلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة﴾ وعنه ﷺ أنه قال: ﴿هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين﴾.

أخي الحبيب .. حاذر أن تخسر إخوانك، فإن أعجز الناس من يخسر إخوانه ... إنها الحالقة ... التي تستأصل دينك ... بل وتستأصل المسلمين ودولتهم.

وقد وُفِّقَ الأخ/ **نجيب الجيلاني** في اختيار موضوع هذه الرسالة (احذروا الحالقة)، وبيَّن فيها علاج هذا المرض الخطير الذي ابتليت به الأمة، متبعاً في

رسالته الإسلوب العلمي في البحث، والاستدلال بالأدلة الشرعية. فأسأل ربي أن يجعلها نافعة للأمة، وأن يجعلها في ميزان حسنات صاحبها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وصل اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

إبراهيم عبدالمنعم الشربيني

* * *

﴿ المقــــدمة ﴾

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

لا شك أن الدنيا زائلة، والآخرة باقية، وأن الكيس الفطن هو الذي يزن الأمور ـ كل الأمور ـ بميزان الشرع الحنيف، فيعرف بأن تقديم الباقي خير من إيثار الفاني، وأن الجنة ليست سلعة رخيصة، بل لها صام الصائمون، وجاهد المجاهدون، وقام القائمون، وهاجر المهاجرون، وتصدق المتصدقون؛ وفوق كل هذا، وبين كل هذا، وقبل كل هذا، وبعد كل هذا ... صبر السائرون. وفي الطريق سدود وعقبات، ومواقف للتمييز، فهو سبحانه: ﴿.... **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[1].

وعند المحن وشدة الشدائد وصعوبة الكروب تظهر - ولا شك- عقبات كؤود، يتحطم علي جلمودها رموز وأعلام، ويقع صريعاً لها جل الأنام، ولا ينجو منها إلا من عصمه الرحمن، وأعانه علي ارتقاء جبله الوعر، وتحطيم كبره علي صخرة التواضع؛ ولاشك أن إذابة هذه الثلوج يحتاج إلي صبر وجلد، وعمل دائم بكل السبل الممكنة شرعاً؛ فالعدو يأتيه

---

(١) سورة الملك الآية: (٢).

المدد الكثير، وعنده من الأسلحة والجنود مالا يُحصي عددهم ؛ فجنوده المثبطون، وخط دفاعه الأول المنافقون، وعيونه النمامون، ومشجعونه الشامتون، وعشيرته الفاسقون، وأعوانه الغمازون، وأبناءه اللمازون، وثمرته ونصرته ذهاب الدين، وانتشار التقاطع والتحاسد والتدابر والخصام بين المسلمين.

ولو نظرت نظرة متدبر لرأيتَ هذه الفرقة والخصام أمرٌ منتشر بين المسلمين أفراداً وشعوباً، على المستوى العام والخاص، يتألم منه الداني والقاصي، ويصرخ منه كل من كان في قلبه إيمان، حتى أصبحنا نسمع كل يوم وفي كل مكان بلسان الحال والمقال من يقول: " كنتُ له نعم الأخ، وكان لي كظلي، كنَّا ككل شيء في هذه الدنيا يعترينا النشاط والسكون، كنا نحلم بالنجوم، ولكن يوماً ما لم ننسِ أن أقدامنا على الأرض ؛ وبين الفينة والفينة كانت تظللنا سحائب الهموم بسبب الشحناء فنتقاطع، ثم لم نلبث أن يعود كلٌ لكلانا، فتنهمر الدموع وتخضر في قلوبنا الربوع، ونشعر بدفء الحب في الله ولله ؛ وهكذا كنا لأيام طوال...

فقلت في نفسي: "لماذا "؟ نعم لماذا كل هذا؟ وبين أيدينا كتاب الله: ﴿ ... **فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[1]، وسنة المصطفى ﷺ: ﴿ ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: ﴿إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين

(١) سورة الأنفال الآية: (١).

الحالقـة﴾[1]، وسـيرة الـسلف الـصالح: "أعجـز النـاس مـن قـصر في طلـب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم".

ومن المؤسف جداً أن نجد هذه الصورة القبيحة بهـذا الوجه الكـالح تتكـرر وبـنفس الطريقـة المؤلـة حتـى مـع المـستقيمين - الملتـزمين- ، ثـم يتـألمون ويطالبون بإصلاح وإزالة العداوات والمشكلات الكائنة - حالياً- بين العالم الإسلامي كله ناسين أو متناسين أن الإصـلاح والـصلح يبـدأ مـن اللبنـة الأولى ومن جهة الأفراد أولاً، فلو أصلح كل واحد منا ما بينه وبـين أخيـه، ومـا بـين إخوانه المتقاطعين لصلح المجتمع كله، وبالتالي العالم - الإسلامي- كله.

لكل هـذا كـان لا بـد مـن هـذه الـصرخة مطلقـاً مـن خلالهـا هـذه الـصيحة التحذيرية لكل موحد بالله قائلاً له : "هون عليك ما تفعـل ومـا تقـول"واحـذر الحالقة وعد إلي أخيك بهذا البريـد:

كي نكمل الصـف ويصـطف الجنـود

ولنرجـع الأنـوار والحـق المجيــد

عد كسـر الأغـلال لا تبقي القيــود

عد وامض في الآفـاقِ واجتـاز السـدود

عد لا تكابر وانتصر فالنصر يأتي بالصــمود

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث صحيح، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: "٢٥٩٥" في صحيح الجامع (صحيح الجامع الصغير وزيادته) (٤٣٦/١)، وصحيح سنن أبي داود (٢٨٠/٤) رقم (٤٩١٩)، وعند الترمذي بلفظ: "..... قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة" صحيح: جامع الترمذي (٦٦٣/٤) رقم (٢٥٠٩)، الأدب المفرد (١٤٢/١) رقم (٣٩١).

قم واطرد الليل العبوس وعانق الفجر الجديد

قم فوق نفسك والهوى قم فوق إبليس المريد

عد للأخوة والمحبة صادقاً قم طهر البدن العنيد

عد قبل موت وقبور ونشور كلهم منها يحيد

وارفع لواء الحق وانشر هديه بين العبيد

وامض إلى جناتِ عدن بالأخوة كن حميد

فالحب أصل المؤمنين وشرعهم وبه نريد

جسداً سليماً كلهم قلباً سعيد

فكراً عظيماً فكرهم دوماً فريد

وأسأل تريخاً عنهمُ هم كالحديد

شريان ماء في الحياة وفي الوريد

من كان منهم قاطعاً فهو الشريد

حتى يعود لربه ويبدأ العهد الفريد

فتزان أيام الحياة ككل عيد

وتزال حالقةً وخسراناً أكيد[1]

لكل هذه العقبات كان من واجبي ككل غيور علي دينه أن أعود إلي نفسي مصلحاً ما بها من عيوب، ممتثلاً لقول علام الغيوب: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**

(١) هذه الأبيات من تأليف المؤلف وتنشر هنا لأول مرة.

وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، ولقوله تعالي: **﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾**[2].

فبداية الهداية معرفة الطريق، ثم السير فيه علي هدي الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة، ثم تبليغ الناس هذا الهدي. ولعل في قول السلف ما يشفي الصدور، فقد قال بعضهم: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم العلم، ثم العمل، ثم التبليغ.

فلكل هذه الأسباب كان مني هذا التبليغ المتواضع الضئيل، قاصداً به أن يصفح عنا الرحمن، ثم أن يهدي به الله ﷻ من كان في قلبه هذا الداء العضال، فإن أصابني التوفيق فمنه وحده وبفضله وكرمه، وإذا كان من خطأ أو نسيان فبذنبي ومن الشيطان ...

فيا ناظراً فيما عنيت بجمعه عذراً فإن أخا الفضيلة يعذر
علماً بأن المرء لو بلغ المدى في العمر لاقى الموت وهو مقصر
فإذا ظفرت بزلة فافتح لها باب التجاوز فالتجاوز أجدر

فأسأله - سبحانه - أن يغفر لنا ذنوبنا جمعياً إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة هود الآية: (١١٢).

(٢) سورة الشورى الآية: (١٥).

﴿ خـطة البحـث ﴾

قـسَّمتُ - بـإذن الله ﷻ- البحــث إلـي مقـدمــة، وثلاثــة أبـــواب، وخاتمـة: **المقـدمة**: ذكرت فيها الافتتاحية، وأسباب اختيار الموضـوع، وخطة البحث.

الباب الأول: تعريف الحالقة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحالقة، ومضمونها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة على حرمتها وشيء من فقهها.

المبحث الثالث: تهيئة القلوب لترك حالقة الحسنات وجالبة الذنوب.

الباب الثاني: أسباب الحالقة وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: الذنوب والمعاصي ومضارها على العباد في الدارين.

المبحث الثاني: الجدال، أنواعـه، أسـبابه، وعـلاجه.

المبحث الثالث: سوء الظن، أسبابه، التحذير منه، وعلاجه.

المبحث الرابع: الغضب، التحذير منه، مظاهره، وعـلاجه.

المبحث الخامس: بذاءة اللسـان، أنواعهـا، وعـلاجها.

المبحث السادس: الوقوع في مفسدات الأخوة، صورها، وعلاجها.

الباب الثالث: عـلاج الحالقة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في العفو، فضـله، ودروه في العـلاج الجـذري.

المبحث الثاني: الرسائل، أقسامها، دورها في العلاج، ونماذج منها.

المبحث الثالث: في الإصلاح بين المتخاصمين، وصفات المصلحين.

الخاتمة: وفيها **أولاً**: نصائح للأخوة والأخوات.

ثانياً: أهم النتائج والتوصيـات.

قائمة بأهم المصادر، والمراجع، والموسوعات، والمواقع، ثـم الفهـرس العام.

وكتبه راجي عفو الإله الفقير إلى مولاه
د/ نجيـب عبدالفتاح جيـلاني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

* * *

الباب الأول: وفيه ثلاثة مباحث:

١. تعريف الحالقة.

٢. الأدلة على حرمتها.

٣. تهيئة القلوب لترك الحالقة.

المبحث الأول: تعريف الحالقة ومضمونها في القرآن الكريم.

الحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والحَلْقُ: حَلْقُ الشعر، والحَلْقُ مصدر قولك حَلق رأْسه، وحَلَّقوا رؤُوسهم، شدّد للكثرة. والاحْتِلاقُ: الحَلْق، ويقال: إِن رأْسه لَجيِّد الحِلاق، ويقال: لحية حَليق ولا يقال حَلِيقة؛ قال ابن سيده: ورأْس حليق، محلوق. وفي التنزيل: ﴿ **مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ**﴾[1]. وفي الحديث: ﴿ليس مِنَّا من صَلَق أَو حَلق﴾[2]. في رواية لمسلم وغيره: ﴿أنا برئ ممن حلق وسلق وخرق﴾[3]. أَي ليس من أَهل سُنَّتنا من حلَق شعره عند المُصيبة إِذا حلَّت به. وفي حديث الحَجّ: ﴿ اللهمَّ اغْفر للمُحَلِّقِين قالها ثلاثاً[4]﴾[5].

وفي الحَديثِ: ﴿دَبَّ إِلَيكُم داء الأَمَم قَبْلَكُمْ: البغضاء؛ وهي "الحالقة"﴾ قالَ خالدُ بنُ جَنْبَةَ: هي قَطيعَةُ الرحِم والتَّظالمُ لأنها تجتاح الناس وتهلكهم كما يحلق الشعر، يقال: وقَعتْ فيهم حالقة لا تَدعُ شيئاً إلا أهلكَته، وهو

(١) سورة الفتح الآية: (٢٧).

(٢) صحيح: انظر حديث رقم: (٥٤٣٨) في صحيح الجامع.

(٣) صحيح: انظر حديث رقم: (١٤٦٠) في صحيح الجامع، إرواء الغليل (٢٢٣/٣).

(٤) متفق عليه، البخاري: باب الحلق والتقصير عند الإحلال، (٦١٧/٢) برقم (١٦٤١)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير رقم (١٣٠٢)، وابن ماجة (١٠١٢/٢) رقم (٣٠٤٣)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٤/٢) رقم (٤٨٩٧)، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٨/٢) برقم (١١٥٨).

(٥) ابن منظور: لسان العرب (٥٨/١٠).

مجاز، وقالَ غيرُه: هي الَّتِي من شأنها أنْ تحلق، أَي: تهْلِكَ وتَستَأْصِلَ الدينَ كما يَستّأصِل الموسَى الشَعَرَ[1]. مما مضى يستبين لنا أن "الحالقة" لها معنيان:

١.**حقيقي**: وهو المقصود به المرأة التي تحلق شعرها عند المصيبة.

٢.**مجازي**: وهو المقصود به الأمر المترتب علي: (البغضاء، والشحناء، والتدابر، والتخاصم، والتفرق)، وهو داء الأمم قبلنا، وهو سوء ذات البين، أو فساد ذات البين، وهو الذي يؤدي إلي حلق الدين - مجازاً - وليس حلق الشعر، وهذا هو الذي نحن بصدده.

من هنا أقف معك - أيها الأخ الكريم - على تعريف هذه الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، التي لا تحلق الشعر، - ويا ليتها- ولكن تحلق الدين، وتقضي على الإخلاص بين المنصفين، وتشتت القلوب في سراديب الشك وأوحال الظنون، ولا يجوزها إلا من تحكم في نفسه وهواه، وانتصر على كبره وبلغ بالتواضع منتهاه، وحطم جبله الوعر وارتقاه، فسعد في دينه ودنياه.

أخي: إن فساد ذات البين وما يترتب عليه من البغضاء، والتدابر، والتخاصم، والتفرق، غالباً ما يعترض الناس على اختلاف مشاربهم، وانتماءاتهم، فبين الأب وابنه والعكس، وبين الأخ وأخيه، وبين الزوج وزوجته، وبين العامل وزميله، وبين الجار وجاره، وكذلك بين الغني والفقير، وبين المستقيمين والمقصرين، وبين أصحاب المناهج الدعوية،

(١) تاج العروس (٦٢٦٠/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٠٣٢/١)، الفائق (٣١٣/١).

وغيرهم كثير. والذي يهمنى في هذه الوقفة هو: معالجةُ ما يحدث بين الأخوة الذين يُرِيدُونَ رضا الله والجنة، ويسعون إلى ذلك جاهدين، بكل قوة وعلو همة يعملون، فهم هدفي الأول من هذه الصرخات، لأنه بصلاحهم يصلح الجميع - ثم بقية المسلمين - وذلك لأسباب منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. أنهم أهل الغربة في زمن انقلبت فيه الموازين، وتحكمت فيه المادة بصورها الطاغية على الكثيرين.
٢. أنهم القدوة العملية لغيرهم، وخليق بمن كان كذلك أن يكون على أكمل صورة وأحسن حال، كي لا يصيرون مثالاً سيئاً في المجتمع الذين يعيشون فيه.
٣. أنهم يتميزون عن غيرهم بأنهم يتمسكون بالقرآن والسنة بفهم سلف الأمة، ولذا فليس من أخلاق السلف هذه الحالقة.
٤. أنهم يُعَرِّضون دينهم للمهالك وهم في غفلة وهم لا يشعرون.
٥. التنبيه على جبر هذه الثلمة الكائنة بين العلم والعمل، فلا بد إذا من رأب هذا الصدع الواقع في أعز ما نملك من جدار الأخوة.

إن من المؤلم أن تجد جبالاً من الشحناء في صدور الجميع - إلا من رحم ربي- ، صغيراً وكبيراً، عالماً ومتعلماً، الكل يعتقد أنه على صواب - بل في قمة الصواب- وما عاداه فهو الخطأ، كلٌ يعتقد أنه صاحب الحق، وصاحب الرأي الأول والأخير، مصادراً جميع الآراء، ناظراً لغيره بعينه

فقط، دون عيونهم، ناصباً نفسه قاضياً في قضية هو فيها الخصم والحكم، ضارباً بكل الحلول عرض الحائط، إلا حلاً واحداً، ورأياً واحداً، رأيه فقط، ووجهة نظره فقط، ناسياً أو متناسياً قوله تعالى ونداءه الحنون الذي يخاطبنا به: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾(١).

وبتتبع هذه القضية الشائكة المعقدة يتضح أن لها أسباباً وجذوراً، ولا يمكن وصف الدواء قبل تشخيص الداء، ومعرفة أسبابه ودواعيه، ومن خلال المعرفة وإماطة اللثام يمكن - ومن خلال الشرع الحنيف- بتر أو استئصال هذه الغدة الخبيثة من داخل القلوب، فتعود إلي فطرتها التي فطرها الله عليها، ويصدق فيها قوله تعالي: ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٢).

وقبل مناقشة هذه الدواعي وتلكم الأسباب، ينبغي أن نعود إلي كتاب ربنا، ثم إلي سنة نبينا ﷺ لنرى كيف وصف لنا هذا الداء العضال، ليسلم لنا بالمعرفة الحال والمآل، وتُزال الكربة ويستريح البال، فتعالى معي لنعيش في روضة القرآن، في ظل الأحاديث الصحاح ...

---

(١) سورة النساء الآية: (٥٩).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٦٣).

الأدلــة القرآنيــة على حرمــة الحــالقة:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢). وقال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٤).

من خلال الآيات الكريمات يتضح لنا، فضل الصلح والإصلاح، وحرمة المقاطعة والخصام، وأن بين يديك من سنة الحبيب المصطفى ﷺ ما يوضح ذلك بجلاء. حبيبي في الله: ستعرف - إن شاء الله- الآن أن "الحالقة"، بليةٌ كبرى، وذلك لأن لها صوراً كثيرةً، ولكنها في النهاية معناها واحد، ومضمونها واحد، وتهايتها معلومة، كما بدا لنا من خلال الآيات الكريمات، وكما سيبدوا لنا من خلال الأحاديث النبوية النيرات.

أما عن تعريفها فهي:

- فسادُ ذات البين.

---

(١) سورة الأنفال الآية: (١).

(٢) سورة الحجرات الآية: (١٠).

(٣) سورة النساء الآية: (١٢٨).

(٤) سورة الحجرات الآية: (٩).

- المخاصمةُ، والمهاجرةُ، والعداوةُ، والغلُ، والضغائنُ، والشحناءُ، والفرقةُ، والنزاعُ، والتقاطعُ، وإيغار الصدر وعدم سلامته.
- والتدابر وهو الإعراض وترك الكلام والسلام، فمعنى تدابروا وتقاطعوا وتباغضوا معنى متداخل كالمعنى الواحد.
- قطيعة الرحم والتظالم.

أرأيت إلى حجم الكارثة، فبالله عليك لا تتصف بهذه الصفة، فقد قال الرسول ﷺ: ﴿إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ﴾[1].

قال أهل العلم: معنى (الألد) شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر، ومعنى (الخصم) الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل[2]؛ فهو مولع بالخصومة وماهر بها، والألد في اللغة: الأعوج بسبب افتعال المعارك الكلامية، وحب الجدال والمناظرة وإظهار الرأي، فهو يجادل عن نفسه بالباطل، وفيه لدد أي ميل واعوجاج عن الحق، وهذا على نوعين: **أحدهما**: أن تكون مجادلته وذبه عن نفسه مع لناس.

والثاني: فيما بينه وبين ربه، بحيث يقيم أعذار نفسه ويظنها محقةً، وقصدها حسناً، وهي خائنة ظالمة، لها أهواء خفية قد كتمتها حتى لا يعرف بها الرجل حتى يرى وينظر[3]، فهو أبغض الناس إلى الله.

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٢٤٥٧)، ومسلم رقم (٢٦٦٨).

(٢) صحيح مسلم، (٤/٢٠٥٤) رقم (٢٦٦٨).

(٣) ابن تيمية: الفتاوى (١٤/٤٤٥).

المبحـث الثاني: الأدلــة على حــرمتهــا وشــيءٍ من فقـهـهــا.

الحــديث الأول:

عـن أم الـدرداء عـن أبـي الـدرداء ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: ﴿أَلاَ أُخْبِـرُكُمْ بِأَفْـضَلَ مِـنْ دَرَجَـةِ الـصِّيَامِ وَالـصَّلاَةِ وَالـصَّدَقَةِ ؟﴾ قَـالُوا بَلَـى. قَالَ: ﴿إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ ﴾[1].

(إصلاح ذات البين): قال الباجي: يريد صلاح الحال التي بين النـاس، وأنها خير من نوافل الصلاة، وما ذكر معها فإنما هي الحالقة، زاد الدار قطني قال أبو الدرداء: ﴿أما إني لا أقول حالقة الشعر ولكنها حالقة الدين﴾ قال الباجي: "أي إنها لا تبقي شيئاً من الحسنات حتى لا تذهب بها كما يذهب الحلق بالشعر من الرأس ويتركه عارياً"[2].

(ألا أخبركم بأفضل) أي بعمل أفضل درجة (قالوا: بلى يا رسول الله)، أي أخبرنا (قال إصلاح ذات البين) أي أحوال بينكم، يعني ما بينكم من الأحوال ألفةً ومحبةً، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وهي مضمراتها، وقيل المراد (بذات البين) المخاصمة والمهاجرة بين اثنين، بحيث يحصل بينهما (بين) أي: فرقة، والبين من الأضداد الوصل والفرق (وفساد

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي حديث صحيح، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٢٥٩٥) في صحيح الجامع (٤٣٦/١)، وصحيح سنن أبي داود (٢٨٠/٤) رقم (٤٩١٩)، وعند الترمذي بلفظ: "... قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة" صحيح: جامع الترمذي (٦٦٣/٤) رقم (٢٥٠٩)، البخاري: الأدب المفرد (١٤٢/١) رقم (٣٩١).

(٢) السيوطي: تنوير الحوالك (٢١١/١).

ذات البين الحالقة) أي هي: الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر.

وفي الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين، واجتناب عن الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها، ورفع فسادها، نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه[1].

قال صاحب التمهيد: "وكذلك لا يحل التدابر، والتدابر: الإعراض وترك الكلام والسلام (ونحو هذا) وإنما قيل للأعراض تدابر، لأن من أبغضته أعرضت عنه، ومن أعرضت عنه وليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك، ومن أحببته أقبلت عليه وواجهته لتسره ويسرك، فمعنى تدابروا وتقاطعوا وتباغضوا معنى متداخل متقارب كالمعني الواحد في الندب إلى التواخي والتحاب، فبذلك أمر رسول الله ﷺ في معنى هذا الحديث وغيره، وأمر رسول الله ﷺ على الوجوب حتى يأتي دليل يخرجه إلى معنى الندب، وهذا الحديث وإن كان ظاهره العموم فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك، حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يهجروه ولا يكلموه هو وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة، لتخلفهم عن غزوة تبوك حتى أنزل الله ﷻ توبتهم وعذرهم، فأمر رسول الله ﷺ (أصحابه) أن يراجعوهم الكلام؛ وفي حديث

(١) العظيم آبادي: عون المعبود (١٣/١٧٨).

كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت (له) منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له وزجراً عنها، والله أعلم"[1].

ثم قال في موضع آخر: "وفيه أوضح حجة في تحريم العداوة، وفضل المؤاخاة، وسلامة الصدر من الغل"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك إيقاع العداوة والبغضاء هى منتهى قصد الشيطان، ولهذا قال النبي ﷺ: ﴿ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ﴿إصلاح ذات البين، فإن إفساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين﴾[3].

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الفواحش والظلم وغير ذلك من الذنوب توقع العداوة والبغضاء، وأنَّ كل عداوة أو بغضاء فأصلها من معصية الله، والشيطان يأمر بالمعصية ليوقع فيما هو أعظم منها ولا يرضى بغاية ما قدر على ذلك.

وأيضا فالعداوة والبغضاء شر محض لا يحبها عاقل، بخلاف المعاصي فإن فيها لذة كالخمر، والفواحش؛ فإن النفوس تريد ذلك، والشيطان يدعو إليها النفوس حتى يوقعها في شر لا تهواه ولا يريده الإنسان، ثم قال في سورة

(١) ابن عبدالبر: التمهيد (١١٧/٦ ـ ١١٨).

(٢) ابن عبدالبر: التمهيد (١٤٦/٢٣).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٤٦).

النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[1].

الحـديث الثانـي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ﴾[2]. ومعنى قوله: (وسوء ذات البين) إنما يعني العداوة والبغضاء، وقوله :(الحالقة) يقول إنها تحلق الدين. وقال المناوي: (إياكم وسوء ذات البين) أي: التسبب في المخاصمة والمشاجرة بين اثنين، أو قبيلتين، بحيث يحصل بينهما فرقة أو فساد (فإنها) أي الفعلة، أو الخصلة المذكورة (الحالقة) أي تحلق الدين[3].

(فإن فساد ذات البين هي الحالقة) أي الخصلة التي شأنها أن تحلق، أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر، أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيح فيه الكذب وكثرة ما يندفع من المضرة في الدنيا والدين بتشتت القلوب ووهن

(١) سورة النور الآية: (٢١).

(٢) حسن: جامع الترمذي (٤/٦٦٣) رقم (٢٥٠٨)، وقال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: (٦٨٣) في صحيح الجامع (١/٤٤٥).

(٣) المباركفوري: تحفة الأحوذي (٧/١٧٨ ـ ١٧٩) بتصرف.

الأديان من العداوات وتسليط الأعداء وشماتة الحساد فلذلك صارت أفضل الصدقات[١].

الحـــديث الثالث:

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ﴾[٢].

(دب إليكم) أي سار إليكم (داء الأمم قبلكم) أي عادة الأمم الماضية (الحسد والبغضاء) والبغضاء (هي الحالقة، حالقة الدين) بكسر الدال (لا حالقة الشعر) أي الخصلة التي شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر، قال ابن الأثير: نقل الداء من الأجسام إلى المعاني، ومن أمر الدين إلى الآخرة، وقال الطيبي: الدب يستعمل في الأجسام، فاستعير للسراية على سبيل التبعية، وكذا قوله (الحالقة) فإنها تستعمل في حلق الشعر فاستعملت فيما يستأصل الدين وليست هي استعارة لذكر المشبه والمشبه به، أي"البغضاء" تُذهب الدين كما يذهب الموسى الشعر (والذي نفس محمد بيده) أي بقدرته وتصريفه (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا) بالله تعالى وبما علم مجيء الرسول بالضرورة (ولا تؤمنوا حتى تحابوا) بحذف إحدى التاءين

---

(١) المناوي: فيض القدير (٣/١٠٦).

(٢) قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: (٣٣٦١) في صحيح الجامع، صحيح الترمذي (٢٠٣٨)، صحيح جامع الترمذي (٤/٦٦٤) رقم (٢٥١٠).

للتخفيف، أي حتى يحب بعضكم بعضاً (أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم) قالوا : بلى يا رسول الله. قال :(أفشوا السلام بينكم) فإنه يزيل الضغائن، ويورث التحابب كما سلف تقريره[1].

الحـــديث الرابـــع :

عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَا تَدْخُلُوا الجَنَّة حَتى تُسلِمُوا، وَلَا تُسْلِموا حَتَّى تَحَابُوا، وأَفْشُوا السَّلام تَحَابُوا، وإِيَّاكُم والبُغْضَةَ، فَإِنَّهَا هِي الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ لَكُم تَحْلِقُ الشَّعَر، وَلَكِن تَحْلِق الدِّينَ﴾[2].

وأما معنى الحديث: لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب، وقال الشيخ أبو عمرو - رحمه الله - معنى الحديث: لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب، ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك، وهذا الذي قاله محتمل، والله أعلم، وأما قوله: (أفشوا السلام بينكم) ففيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفى إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين، وقد ذكر البخاري - رحمه الله - في

(١) المناوي: فيض القدير (٥١٦/٣).

(٢) قال الألباني: حسن لغيره، حسن: الأدب المفرد (١٠٠/١) رقم (٢٦٠).

"صحيحه" عن عمار بن ياسر ﷺ أنه قال: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان:

١. الإنصاف من نفسك.

٢. وبذل السلام للعالم.

٣. والإنفاق من الإقتار.

وروى غير البخاري هذا الكلام مرفوعاً إلى النبي ﷺ[١]، وبذل السلام للعالم، والسلام على من عرفت ومن لم تعرف، وإفشاء السلام، كلها بمعنى واحد؛ وفيها لطيفة أخرى وهي: أنها تتضمن رفع التقاطع، والتهاجر، والشحناء، وفساد ذات البين التي هي"الحالقة"، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه، ولا يخص أصحابه وأحبابه به، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[٢].

الحــديث الخــامس:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ دَخَلَا فِي الْإِسْلَامِ، فَاهْتَجَرَا، لَكَانَ أَحَدُهُمَا خَارِجًا عَنِ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَرْجِعَ - يَعْنِي: الظَّالِمَ مِنْهُمَا - ﴾[٣].

انظر - أخا الإسلام- إلى ألفاظ الحديث ففيها ستتجسد لك حجم الكارثة الواقعة على المتقاطعين؛ ففيه:

---

(١) قال الألباني: صحيحاً موقوفاً وله حكم الرفع، شرح العقيدة الطحاوية (٣٨٩/١) رقم (٢٦٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٦/٢).

(٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٦٥) وقال رواه البزار ورواته رواة الصحيح، وفي الصحيحة رقم (٣٢٩٤).

١) يحرم الإسلام التقاطع بين الإخوان تحريماً قاطعاً.

٢) عقوبة المُصر على القطيعة عقوبةً تصل في شناعتها إلى حد المرتد عن الإسلام[١].

٣) اتصاف المقاطع بصفة حرمها الله سبحانه وتعالى على نفسه وجعلها محرمة بين خلقه وهي الظلم.

٤) ضرورة وسرعة الرجوع إلى الأخ الذي قطعته وإن غلب على ظنك أنه لن يكلمك، ولكن لتعذر عند الله وتخرج من الهجرة.

المثل التطبيقي من حياة ا لنبي ﷺ لمنع وقوع الحالقة:

ومما لا شك فيه أن النبي ﷺ كان حريصاً على ترسيخ قواعد الأخوة الإيمانية حتى لا تتسرب إليها الحالقة الهالكة، فقد مر بنا منذ قليل التحذيرات النبوية والتي تحمل في طياتها الكثير من المعاني السامية والأخلاق العالية والتوجيهات السديدة.

ولم يكن النبي ﷺ يأمر بشيءٍ ويأتي بخلافهِ، بل كان سبَّاقاً لكل خير قائداً للمسلمين في أمر الدنيا والآخرة، متابعاً وواصلاً القول بالعمل، كي لا يقع بين المسلمين "بين".

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: ﴿أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

(١) وإن كنت لا أحبذ هذا التفسير لقول العلامة المحدث فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني: من الأولى ألَّا تفسر نصوص الوعيد الواردة في أحاديث النبي ﷺ بل تترك على ما هي عليه ليكون الزجر بها أقوى، والوعيد بها أنكى.

(٢) صحيح: صحيح البخاري، ك الصلح، باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنا نصلح (٢/٩٥٨) رقم (٢٥٤٧).

وفي حديث آخر ما يؤكد هذه الحقيقة وأنه ﷺ كان يقوم بالإصلاح بين المسلمين، وموضع الشاهد: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ .... [(١)].

ولقد كان صحابة النبي ﷺ يقومون بتطبيق هذه الأخلاق الطيبة منعاً من استفحال الحالقة، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: (كان عبدالله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة بعد النبي ﷺ وأبي بكر، وكان أبرَ الناس بها، وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله إلا تصدقت؛ فقال ابن الزبير: ينبغي أن يُؤخذ على يدها!! فقالت: أيؤخذ على يدي؟ عليَّ نذر إن كلمته!!

فاستشفع إليها برجال من قريش، وبأخوال رسول الله ﷺ خاصةً، فامتنعت؛ فقال له الزهريون أخوال النبي ﷺ منهم عبدالرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث، والمسور بن مخرمة، إذا استأذنا فاقتحم الحجاب، ففعل،

---

(١) وتكملة الحديث: ﴿ فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ وَلَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ بِلَالٌ فَأَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ وَلَمْ يَأْتِ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حُبِسَ وَقَدْ حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ فَقَالَ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَأَخَذَ النَّاسُ بِالتَّصْفِيحِ حَتَّى أَكْثَرُوا وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَكَادُ يَلْتَفِتُ فِي الصَّلَاةِ فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَرَاءَهُ فَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ كَمَا هُوَ فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي الصَّفِّ وَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي صَلَاتِكُمْ أَخَذْتُمْ بِالتَّصْفِيحِ إِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا الْتَفَتَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ لَمْ تُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ ﴾ صحيح: صحيح البخاري، ك الصلح، باب بَاب مَا جَاءَ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا (٩٥٧/٢) رقم (٢٥٤٤).

فأرسل إليها بعشر رقاب فأعتقهم، ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين، فقالت: وددت أني جعلت حين حلفت عملاً أعمله فأفرغ منه)[1].

ومعنى (يؤخذ على يديها) يُحجر عليها وتُمنع من الإعطاء. (استأذنا) أي في الدخول على عائشة رضي الله عنها. (فاقتحم الحجاب) ارم نفسك داخل الستارة التي تكون بيننا وبينها. (رقاب) عبيد وجوار لتعتق منهم ما أرادت كفارة ليمينها. (تعتقهم) أي تعتق الرقاب. (بلغت أربعين) أي رقبة احتياطاً في كفارة نذرها. (عملاً) أي رغبت أن أكون عنيت شيئاً ما أتبرر من نذري بفعلة ولكني نذرت مبهماً، فيحتمل أن يطلق على أكثر مما فعلت، وهذا يدل على زيادة ورعها رضي الله عنها. (منه) أي من ذاك العمل فأتبرر من نذري. والتبرر من النذر تصديقه والوفاء به[2]. قال ابن حجر: كَانَ اِبْن أُخْتهَا وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تَتَوَلَّى تَرْبِيَته غَالِبًا. ولما قدموا إليها قالوا : (أَنَدْخُلُ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالُوا: كُلّنَا ؟ قَالَتْ: نَعَمْ).فِي رِوَايَة الْأَوْزَاعِيِّ "قَالَا: وَمَنْ مَعَنَا؟ قَالَتْ: وَمَنْ مَعَكُمَا". قَوْله: (فَاعْتَنَقَ عَائِشَة وَطَفِقَ يُنَاشِدهَا وَيَبْكِي) فِي رِوَايَة الْأَوْزَاعِيِّ "فَبَكَى إِلَيْهَا وَبَكَتْ إِلَيْهِ وَقَبَّلَهَا" وَفِي رِوَايَته الْأُخْرَى عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيّ "وَنَاشَدَهَا اِبْن الزُّبَيْر اللَّه وَالرَّحِم"[3].

(١) صحيح: صحيح البخاري، ك المناقب، باب مناقب قريش (١٢٩١/٣) رقم (٣٣١٤).

(٢) شرح صحيح البخاري (١٢٩١/٣) رقم (٣٣١٤).

(٣) ابن حجر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٤٩٤/١٠) بتصرف.

قلتُ: سبحان الله!! انظر إلى تلك المشاعر الجيَّاشة، والقلوب الرقيقة الرقراقة، والدموع المنهمرة، والتصالح والتسامح، وأشياء أخرى لا يستطيع القلم وصفها، ولا العقل استيعابها.

قَالَ النَّوَوِيّ: قَالَ الْعُلَمَاء: تَحْرُم الْهِجْرَة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَر مِنْ ثَلَاث لَيَالٍ بِالنَّصِّ وَتُبَاح فِي الثَّلَاث بِالْمَفْهُومِ، وَإِنَّمَا عُفِيَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ الْآدَمِيّ مَجْبُول عَلَى الْغَضَب، فَسُومِحَ بِذَلِكَ الْقَدْر لِيَرْجِع وَيَزُول ذَلِكَ الْعَارِض[1].

أخي: من أزل نفسه لله فقد أعزها، ومن بذل الحق من نفسه فقد أكرم نفسه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، ومن اعتز بالظلم من منع الحق وفعل الإثم فقد أذل نفسه وأهانها. "والظالم يكون ظالماً بترك ما تبين له من الحق، وإتباع ما تبين له أنه باطل والكلام بلا علم، فإذا ظهر له الحق فَعَنَدَ عنه كان ظالماً"[2]. فالحق واضح أبلج كالشمس في واضحة النهار، فلا ينبغي إنكاره ولا تهميشه واستدباره، بل لا بد لك أيها الأخ الحبيب إذا كنت تحب الحبيب ﷺ أن تمتثل لأمره وتُذعن لقوله ففيه النجاة: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾[3].

ولنا قبل العلاج وقفات ليسهل لنا تضيد الجراح، ورفع البكاء وجبر النواح، وسعد القلوب بكل ارتياح.

(١) السابق (١٠/٤٩٢).

(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٧٣).

(٣) سورة الإسراء الآية: (٥٣).

المبحث الثالث: تهيئـة القلوب لـترك حـالقة الحسـنات وجـالبة الـذنوب.

إذا كانت أعمار هذه الأمة قصيرةٌ بالنسبة لأعمار الأمم التي كانت قبلنا كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: ﴿ أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ ﴾[1]، فإن الله ﷻ قد عوضنا بأعمال قليلة العمل وسهلة التنفيذ وعلى مدار الأيام لكي نحظى بسببها بالأجر الجزيل والفضل العميم، رحمة منه وفضلاً سبحانه.

ومن هذه الأعمال - على سبيل المثال لا الحصر- [2] ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، وصيام التطوع كيوم عرفة، ويوم عاشوراء، والصدقة يتضاعف أجرها إلى سبعمائة ضعف، والحسنة بعشر أمثالها، والاستغفار، والذكر، وأجره معلوم ولا يكلفك مشقةً ولا عملاً كثيراً، فبإمكانك أن تذكر الله ﷻ على كل حالاتك حتى وأنت على غير وضوء فليس لذكره سبحانه حد يوقف عنده[3].

كذا صلة الرحم، وركعتا الفجر، والسلام على المسلمين، وغيرها من الأعمال الكثيرة السهلة التي تكون سبباً في رضا الله ﷻ ودخول الجنة.

---

(١) سنن أبن ماجة (١٤١٥/٢) رقم (٤٢٣٦)؛ والترمذي (٥٥٣/٥)، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حسن لذاته صحيح لغيره رقم (٧٥٧).

(٢) لفضيلة الشيخ الدكتور/ سيد حسين العفاني، كتاب قيمٌ في هذا الشأن اسمه: البحار الزاخرة في أسباب المغفرة، به أنصحك.

(٣) وتذكر قوله ﷺ: ﴿ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى﴾ سنن الترمذي رقم (٣٢٩٩).

والذي أود أن أوقفك عنده - أيها الأخ الحبيب- فضل الأخوة في الله، وأن حبك لأخيك في الله وتمسكك به وصبرك على أذاه قد يكون – أيضاً- سبباً هاماً لدخول الجنة إن شاء الله- ، وذلك طالما أنه توفر فيه صفات الأخوة التي نصح بها العلماء وأشار إليها العقلاء، ومنها: أن يكون عاقلاً، حسن الخلق، غير فاسق، ولا مبتدع، ولا حريص على دنيا، وأن يكون على منهجٍ صحيح، وفهم واضح صريح بعيداً عن فكر المنحرفين، وتنطع المتنطعين، وتشدد المتشددين، وأن يكون على منهج السلف الصالح عقيدة وعملاً.

وعند أصحاب "النضرة" تفصيلاً يتضح من خلاله هذه الصفات، وهي:

١) أن يكون ذا عقل جيد، يهدي به إلى مراشد الأمور، لأن فاقد العقل لا تثبت معه مودةٌ، ولا تدوم لصاحبه استقامةٌ.

٢) أن يكون محمود الأخلاق، مرضي الفعال، مؤثراً للخير، آمراً به، كارهاً للشر ناهياً عنه، ذلك أن مؤاخاة الشرير تكسب العداء، وتفسد الأخلاق ولا خير في مودة تجلب عداوةً، وتورث ذمةً وملامةً، فإن المتبوعَ تابعُ صاحبهِ.

٣) أن يكون في كل واحد منهما ميل لصاحبه، ورغبة في مؤاخاته، لأن ذلك آكدُ لحال المؤاخاة.

فإذا ما تمت المؤاخاة ترتب على ذلك حقوق وواجبات تجاه الإخوان، وذلك كالإغضاء عن الهفوات، والنصح لهم والتناصح، ووجوب زيارتهم،

ومودتهم، وغير ذلك من أمور من شأنها إشاعة الألفة والتآلف بين الإخوان، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب بما يعين على تحقيق أهداف رسالة الإسلام[1].

فـ: ﴿لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ﴾[2]؛ وقال عليٌّ رضي الله عنه: "إذا رزقك الله ودَّ امرئٍ مسلم فتمسك به"[3].

فإذا وجدت الأخ الذي تتوفر فيه هذه الشروط فعض عليه بالنواجذ، ولا تبعه عند أول موقف للتمييز ولا تستنكر عليه بعض العيوب، فقد قال الفضيل بن عياض: "من طلب أخاً بلا عيب صار بلا أخ"[4]، فمن منا خالي من العيوب؟ وإذا كنتَ أنت مبرئاً منها فستجد من هو مثلك بدون أدنى مشقة، ولكن أنَّى لك هذا.

والله لو عَلموا قبيحَ سريرتي لأَبَى السَّلامَ عليَّ مَنْ يلقانيِ
ولأعرضوا عني وملُّوا صحبتي ولَبُئْتُ بعد كرامةٍ بهوانِ

ولقد ذكر أهل التفسير أن الأخ في القرآن ورد على خمسة أوجه:

١) الأخ من الأب أو من الأم أو من أحدهما، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ**﴾[5].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٢/٩٤) نقلاً عن أدب الدنيا والدين (١٦٢) وما بعدها.

(٢) أبو داود في سننه (٤١٩٢)، والترمذي (٢٣١٨) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وابن حبان (٥٥٥)، (٥٦١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٥٠١٨)، وفي الترغيب والترهيب (٣٠٣٦).

(٣) الخرائطي: المنتقى من مكارم الأخلاق (١٥٩).

(٤) البيهقي: شعب الإيمان (٦/٣٣٠) رقم (٨٣٨٣).

(٥) سورة المائدة الآية: (٣٠).

٢) الأخ من القبيلة ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ**﴾[١].

٣) في الدين والمتابعة، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٢].

٤) في المودة والمحبة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا**﴾[٣].

٥) الصاحب، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾[٤] [٥].

وأياً كانت المعاني، فإن طبيعة الإنسان أن يكون آلفاً مؤلوفاً، والمؤاخاةُ من أهم أسباب حدوث الألفة بين المسلمين.

وإذا كان الدين أكبر باعث على المؤاخاة والتآخي، فإنه يُعززُ الألفة والتجمع على تعاليم الدين من أجل الدنيا والحياة والمجتمع[٦].

ولكي تعلم أن طالب الأخ الصالح ومصاحبته من الأسباب العظيمة التي تعينك على السير في الطريق، والنجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، فاسمع ما يلي: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا

(١) سورة الأعراف الآية: (٦٥).

(٢) سورة الحجرات الآية: (١٠).

(٣) سورة الحجر الآية: (٤٧).

(٤) سورة ص الآية: (٢٣).

(٥) موسوعة نضرة النعيم (٢/٩٣).

(٦) موسوعة نضرة النعيم (٢/٩٣) بتصرف كبير.

رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ﴾[1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ؟قَالَ: ﴿وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟﴾. قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ. فَقَالَ: ﴿أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ[2]. ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم[3].

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لعلِّي أَنْ أنالَ بهم شفاعهْ

وأَكْرَهُ مَنْ تجارتُه المعاصي وإِن كنَّا سواءً في البضاعهْ

قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: "اصحب الصالحين وإن لم تكن منهم فإن الله سبحانه لما أحيا عزيراً أحيا حماره، ولما بعث أهل الكهف بعث كلبهم"[4]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء فإنك إن لم تعمل بعملهم أخذت من أخلاقهم، وإن لم تأخذ من أخلاقهم نزلت الرحمة وأنت فيهم"[5].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٧٠٣)، مسلم (٤٧٧٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٤١٢) واللفظ له، مسلم (٤٧٧٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/١٨٦).

(٤) الحبيشي: نشر طي التعريف (١/١٤٨).

(٥) السابق (١/١٤٧).

وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز: "إنه كان يقال: إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال: سبحان الله الذي جعل لنا مخرجاً"(١).

فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوت عليك ثواب الحب، ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك، وحملك على الكراهية حتى أثمت، وكيف لا؟ وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى، وينكشف خطؤه ليفتضح، وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم، أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم، وأي إثم يزيد على ذلك، فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة"(٢).

أخي الكريم: طفتُ معك خلال تلكم الجولة الماضية وكلي أمل أن يسعك الشرع الحنيف، وأن ترضى بأخيك في الله، وإن غلب على ظنك أنك المظلوم وانك صاحب الحق المهضوم، فأين السماح؟ وأين الدفع بالتي هي أحسن؟ وأين أنت من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(٣).

عن ابن عباس، قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٦٣/٤٧).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (١٩٨/٣).

(٣) سورة فصلت الآية: (٣٤).

الله من الشيطان، وخضع لهم عدوُّهم، كأنه وليّ حميم. وقال آخرون: معنى ذلك: ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته. وعن عطاء قال: بالسلام. وعن مجاهد قال: السلام عليه إذا لقيته. وقوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك، وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب. عن قتادة: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه وليّ قريب[1].

وفي قولٍ آخر: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أي لا تستوي الحسنة التي يرضي الله بها ويثيب عليها، ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها، ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات، وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي، فإن اللفظ أوسع من ذلك. وقيل: الحسنة التوحيد، والسيئة الشرك. وقيل: الحسنة المداراة، والسيئة الغلظة. وقيل: الحسنة العفو، والسيئة الانتصار. وقيل: الحسنة العلم، والسيئة الفحش[2].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/٤٧١ـ ٤٧٢).

(٢) الشوكاني: فتح القدير (٦/٣٥٥)، وفي أيسر التفاسير لأسعد حومد: وَلاَ تَتَسَاوَى الحَسَنَةُ التِي يَرْضَى اللهُ بِهَا، وَيُثِبُ عَلَيْهَا، مَعَ السَّيِّئَةِ التِي يَكْرَهُهَا اللهُ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا، فَادْفَعْ سَفَاهَةَ السُّفَهَاءِ، وَجَهَالَةَ الجُهَلاَءِ بِالطَّرِيقَةِ الحُسْنَى، فَقَابِلْ إِسَاءَتَهُمْ بِالإِحْسَانِ إِلَيهِمْ، وَقَابِلِ الذَّنْبَ بِالعَفْوِ، فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلاَقِهِمْ، وَقَابَلْتَ سَفَاهَتَهُمْ بِرَحَابَةِ صَدْرٍ اسْتَحْيَوْا مِنْ ذَمِيمِ أَخْلاَقِهِمْ، وَتَرَكُوا قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ. وَانْقَلَبُوا مِنَ العَدَاوَةِ إِلَى المَحَبَّةِ.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: ادفع السيئة إذا جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، ومنه مقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والإغضاء عن الهفوات، والاحتمال للمكروهات. وقال مجاهد، وعطاء: بالتي هي أحسن يعني: بالسلام إذا لقي من يعاديه. وقيل: بالمصافحة عند التلاقي: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن، والمعنى: أنك إذا فعلت ذلك الدفع صار العدوّ كالصديق، والبعيد عنك كالقريب منك[1].

قال ابن كثير: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر ﷺ: "ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه"[2].

يعني: أنّ الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ الحسنة التي هي أحسن من أختها - إذا اعترضتك حسنتان - فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك. ومثال ذلك: رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة: أن تعفو عنه، والتي هي أحسن: أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاقّ مثل الولي الحميم مصافاة لك[3].

---

(١) الشوكاني: فتح القدير (٦/٣٥٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٨١).

(٣) الزمخشري: الكشاف (٦/ ١٥٩).

ويروى عن ابن عباس في قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: هما الرجلان متقاولان فيقول أحدهما لصاحبه: يا صاحب كذا وكذا. فيقول له الآخر: إن كنت صادقاً عليَّ فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك[1].

وفي الترغيب في عفو المظلوم عن ظالمه حفظ آصرة الأخوة الإسلامية بين المظلوم وظالمه كيلا تنثَلِم في آحاد جزئياتها بل تزداد بالعفو متانة[2].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[3]. عن قتادة، قال: أخلاقٌ أمر الله بها نبيه ﷺ، ودلَّه عليها[4]. قَالَ عبد الله بن الزبير: "أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ"، وقال مجاهد: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس، وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك[5].

ثم قال: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ وهو كل معروف وأعرفه: التوحيد ثم حقوق العبودية وحقوق العبيد ثم قال: وفي آية أخرى قال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ يعني إذا سفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[6]. وهذه الآية من أمثلة الإيجاز فيما يخاطب به المولى ﷻ النبي: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فإنه

(١) النحاس: معاني القرآن (٦/٢٦٩).

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير (١٣/ ١٤٣).

(٣) سورة الأعراف الآية: (١٩٩).

(٤) تفسير الطبري (١٣/٣٣٢).

(٥) البغوي: تفسير البغوي (٣/ ٣١٦).

(٦) سورة الفرقان الآية: (٦٣).

جمع فيه مكارم الأخلاق، لأن قوله خذ العفو، أمر بإصلاح قوة الشهوة فإن العفو ضد الجهل، قال أبو الأسود الدؤلي[1]:

خُذي العفوَ مني تَستديمي مَوَدتي ولا تَنْطِقي في ثَوْرَتي حين أغْضَبُ
فإنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ في القَلْبِ والأَذَى إذا اجْتَمعا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

أي خذ ما تيسر، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب، أي أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفاعلهم؛ هذا ما يرجع إليه منها[2].

وقال أبو حنيفة: إن معنى "عفى" بذل، والعفو في اللغة: البذل[3]، فجمع في الآية جميع مكارم الأخلاق لأن في الأمر بالمعروف صلة الرحم، ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب، وغض الطرف عن المحرمات، وغير ذلك، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وغيرهما[4].

وقال تعالى: **﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[5].

(١) نسبت هذه الآبيات لشعراء غير الدؤلي، ولكن الأكثر شهرة أنها له، وأغلب كتب الأدب تذكرها بـ " سَوْرَتي" بالسين والصواب كما ذكرتُ "ثورتي" من الثوران، وكذا الحب في القلب، وجاءت مرات في "الصدر".

(٢) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (١٧٦).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٢٥٤).

(٤) ابن الأثير الكاتب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ١١٥).

(٥) سورة آل عمران الآيات: (١٣٣ـ ١٣٤).

فـذكر أنـه يحـب المحـسنين والعـافين عـن النـاس، وتـبين بهـذا أن هـذا مـن الإحـسان، والإحـسان ضـد الإسـاءة، وهـو فعـل الحـسن سـواء كـان لازمـاً لصاحبه أو متعدياً إلى الغير، فالكاظم للغيظ والعافي عن الناس قد أحسن إلى نفسه وإلى الناس، فإنه بذلك عمل حسنة مع نفسه ومع الناس، ومـن أحسن إلى الناس فإلى نفسه، كما يروى عن بعض السلف أنه قـال: "مـا أحسنت إلى أحدٍ وما أسأتُ إلى أحدٍ؟! وإنما أحسنت إلى نفسي وأسأتُ إلى نفسي!!" قـال تعالى: ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَـا** ﴾[2]، ولـو لم يكـن الإحسان إلى الخلـق إحساناً إلى المحسن يعـود نفعـه عليـه، لكـان فـاعلاً إثمـاً أو ضـرراً، فـإن العمل الذي لا يعود نفعه على فاعله إمـا حيـث لم يكـن فيـه فائـدة، وإمـا شـر من العبث إذا ضـر فاعلـه، والعفـو عـن الظـالم أحـد نـوعي الـصدقة المعـروف والإحسان إلى الناس وجماع ذلك الزكاة[3].

فما ردك – أيها الحبيب – بعدما سمعتَ؟ وهل ستكون وقَّافاً عنـد هـدي الكتاب، وسنة النبي الحبيب ﷺ، وفعل السلف الصالح؟ أخي: لعـل في قـول هذا الرجل رداً لغيظك، وشفاءً لصدرك، ورحمـة لجميـع المؤمنين، فقـد قـال

(١) سورة الإسراء الآية: (٧).

(٢) سورة الجاثية الآية: (١٥).

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣٠/٣٦٤ـ ٣٦٥).

رجل لعمر بن عبدالعزيز: "اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وصغيرهم إبناً، وأوسطهم أخاً، فأي أولئك تحب أن تُسئ إليه؟"(1).

أخي: هل تستطيع فعلاً أن تسئ لأبيك؟ إن فعلتَ ذلك كنتَ عاقاً! وهل تستطيع أن تسئ لأبنك؟ إن فعلتَ كنت فظاً غليظاً! وهل تستطيع أن تسئ لأخيك؟ إن فعلت كنت معتدياً مقاطعاً واقعاً في الحالقة!

أخي: كن قرآنياً في أخلاقك، محمدياً في سلوكك، سوياً في أفعالك، كن معتدلاً في أقوالك، رحيماً لإخوانك، ناظراً للباقية، تاركاً للفانية، قانعاً أنَّ الباقي خيرٌ من الفاني ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾(2).

لا تكن كالهمج الرعاع أتباع كل ناعق يسيرون مع كل ريح، إذا أحبوا الناس أكرموهم، وإذا غضبوا أهانوهم، وافهم جيداً حقيقة المحبة والتي قال عنها يحي بن معاذ الرازي: "حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء"(3).

أخي الحبيب: لعلك تعلم أن من أبرز خصائص الفرقة الناجية: "هو التمسك بما كان عليه النبي ﷺ في: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، هذه الأمور الأربعة تجد الفرقة الناجية بارزة فيها، والذي يهمني توضيحه الآن هو ما يختص بالأخلاق، فتجدهم متميزين عن غيرهم بحسن الأخلاق، كمحبة الخير للمسلمين، وانشراح الصدر، وطلاقة الوجه،

(1) ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم (٣٣٦).

(2) سورة الأعلى الآيتان: (١٦ـ ١٧).

(3) ابن الجوزي: صفة الصفوة (١/ ٤٢٥).

وحسن المنطق، والكرم، والشجاعة، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق ومحسنها"[1].

أخي الكريم: ليكن لسان حالك مع إخوانك:

أُحِبُّ مكارِم الأخلاق جَهْدِي وأَكْره أن أَعيب وأن أُعابَا

وأَصْفَح عن سِباب النَّاس حِلْماً وشرُّ الناس مَن يَهْوَى السِّبابا[2]

وتأمل معي – أخي الحبيب – قول السموءل بن عادياً الغساني من جملة أبياته اللامية المشهورة:

وإِنْ هُو لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ[3]

فإن هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها، من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر، وغير ذلك، فإن هذه مكارم الخلاق كلها من "ضيم النفس" لأنها تجد بحملها ضيماً، أي: مشقةً وعناءً.

ولك أن تعلم – أيها الحبيب – أن "الإيجاز بالقصر يكون فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة، وهذا البيت من ذلك القبيل، ولا أعلم أن شاعراً قديماً ولا حديثاً أتي بمثله، وقد أخذه أبو تمام فأحسن في أخذه وهو:

وظلمتَ نفسكَ طالِباً إنصافَهَا ... فَعجِبتُ مِنْ مظلُومةٍ لم تُظْلَمِ

ففاز في بيته هذا بالمقابلة بين الضدين في الظلم والإنصاف، ثم قال: "فعجبت من مظلومة لم تظلم" وهذا أحسن من الأول، ومعنى قوله:

---

(١) ابن باز وابن عثيمين: فتاوى مهمة لعموم الأمة، ص(١٧ـ ١٨) بتصرف.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد (١/ ١٨١).

(٣) أحمد بن المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ٣٩٧).

"ظلمت نفسي طالباً إنصافها" أي: أنك أكرهتها على مشاق الأمور وإذا فعلت ذلك فقد ظلمتها، ثم إنك مع ظلمك إياها قد أنصفتها، لأنك جلبت إليها أشياء حسنة تكسبها ذكراً جميلاً ومجداً مؤثلاً، فأنت منصف لها في صورة ظالم، وكذلك قوله: "فعجبت من مظلومة لم تظلم" أي أنك ظلمتها وما ظلمتها لأن ظلمك إياها أدى إلى ما هو جميل حسن"[1]. قال أحمد شوقي:

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجعُه فقوم النفسَ بالأخلاقِ تستقمِ

والنفسُ من خيرها في خيرِ عافيةٍ والنفسُ من شَرِّها في مرتع وخمِ[2]

***

(١) ابن الأثير الكاتب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ١١٦).

(٢) أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال، والبيتان لأحمد شوقي، وصفحات الكتاب غير مرقمة على المكتبة الشاملة، عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري (المتوفى: ١٣٦٣هـ): الذخائر والعبقريات، معجم ثقافي جامع، (٥/١).

الباب الثاني: أسباب الحالقة وفيه ستة مباحث:

١. الذنوب والمعاصي.

٢. الجـــــــدال.

٣. ســـــوء الظـــن.

٤. الغـــضـــــــب.

٥. بذاءة اللســـان.

٦. الوقـــوع في مفســـدات الأخـــوة.

المبحث الأول: الذنوب والمعاصي ومضارها على العباد في الدارين.

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[1]. يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها. عن ابن عباس، قال: يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة. وقال آخرون: بل عنى بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحدّ حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يقول: فبما عملتم من معصية الله ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ فلا يوجب عليكم فيها حدّاً[2].

قال علي ﷺ: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ﷻ؛ وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه!

وقال الحسن: دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل! فوالله إني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ فهذا مما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر.

---

(١) سورة الشورى الآية: (٣٠).

(٢) تفسير الطبري (١١/١٥٠).

وقال مرة الهمداني: رأيتُ على ظهر كف شريح قرحه فقلت: يا أبا أمية، ما هذا؟ قال: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير. وقال ابن عون: إن محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال: إني لأعرف هذا الغم، هذا بذنبٍ أصبته منذ أربعين سنة[1].

قال ابن القيم – عليه رحمة الله – في كتابه القيم "الداء والدواء": "وهاهنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في أمر الذنب، وهي أنهم لا يرون تأثيره في الحال وقد يتأخر تأثيره فينسى، ويظن العبد إنه لا يغير بعد ذلك؟!! وسبحان الله!! كم أهلكتْ هذه النكتة من الخلق؟! وكم أزالت من نعمة؟! وكم جلبت من نقمة؟! وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء؛ فضلاً عن الجهال! ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض - ولو بعد حين - كما ينقض السهم وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغل"[2]. قال أحمد بن أبي الحواري: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾.

قال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها.

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/٣٠).

(٢) محمد محمد بن عبدالله بن صالح الهبدان: تهذيب الداء والدواء، ص (٤٥).

وروي أن رجلاً قال لموسي: يا موسي سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها؟ ففعل موسي؛ فلما نزل إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله؟ فقال موسي: ما بال هذا يا رب؟ فقال الله تبارك وتعالى له: يا موسي إنه سألني درجة علمت أنه لم يبلغها بعمله، فأصبته بما ترى لأجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة. فكان أبو سليمان الداراني إذا ذكر هذا الحديث يقول: سبحان من كان قادراً على أن ينيله تلك الدرجة بلا بلوى! ولكنه يفعل ما يشاء[1].

قال علماؤنا: وهذا في حق المؤمنين، فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة. وقيل: هذا خطاب للكفار، وكان إذا أصابهم شر قالوا: هذا بشؤم محمد، فرد عليهم وقال بل ذلك بشؤم كفركم. والأول أكثر وأظهر وأشهر. وقال ثابت البناني: إنه كان يقال ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا. ثم فيها قولان:

أحدهما: أنها خاصة في البالغين أن تكون عقوبة لهم، وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم.

الثاني: أنها عقوبة عامة للبالغين في أنفسهم والأطفال في غيرهم من والد ووالدة.

﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ أي عن كثير من المعاصي ألا يكون عليها حدود، وهو مقتضى قول الحسن.

(١) تفسير القرطبي (١٦/٣١).

وقيل: أي يعفو عن كثير من العصاة ألا يُعجل عليهم بالعقوبة[1].

إن من يعتدي ويكسب إثماً وزن مثقال ذرة سـيراه

ويجازى بفعله الشر شراً وبفعل الجميل أيضاً جزاه

هكذا قوله تبارك ربي في إذا زلزلت وجل ثناه

قال ابن القيم في كتابه الماتع **(الداء والدواء)** مما ينبغي أن يعلم: "أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟! فما الذي أخرج الأبوين من الجنة - دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور- إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى القتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ودمرت ما مر عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة

(١) تفسير القرطبي (٣٢/١٦).

غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤسهم؛ أمطر عليهم ناراً تلظى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقِلَت أرواحُهم إلى جهنم؛ فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟ وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟ وما الذي بعث على بنى إسرائيل قوماً أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذراري والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فاهلكوا ما قدروا عليه، وتبروا[1] ما علو تتبيرا؟

وما الذي سلط عليهم أنواعَ العقوبات؛ مرةً بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿**لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾[2]؟ وعن جبير بن نفير قال: (لما فتحت قبرص فُرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض؛ فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكى، فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟! فقال: ويحك يا

(١) تَبّر: أهلك وحطّم.

(٢) سورة الأعراف الأية: (١٦٧).

جبير!! ما أهون الخلق على الله ﷻ إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى)[1].

وفي مسند أحمد؛ من حديث أم سلمة؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِى فِى أُمَّتِى عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا فِيهِمْ صَالِحُونَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أُولَئِكَ؟ قَالَ: "يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ"[2].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لِمَا تَأْمَنُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ وَلِمَا يَتْبَعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ؟، وَقِلَّةُ حَيَائِك مِنْ مَلَكِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ: - أَيْ بَقَاؤُك عَلَيْهِ بِلَا تَوْبَةٍ- أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ الَّذِي عَمِلْتَهُ، وَفَرَحُك بِالذَّنْبِ إذَا ظَفِرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ، وَضَحِكُك وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِك أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ، وَحُزْنُك عَلَى الذَّنْبِ إذَا فَاتَك أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ، وَخَوْفُك مِنْ الرِّيحِ إذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِك وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُك مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إلَيْك أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ"[3]. وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: لَا تَنْظُرْ إلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ انْظُرْ إلَى مَنْ عَصَيْتَ[4]. وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

---

(١) أخرجه: أحمد في الزهد ص ١٧٩.

(٢) أخرجه: أحمد (٦/٢٩٤) رقم (٢٦٥٧٠)، والحديث صححه الألباني في السلسلة (٣/٣٥٩).

(٣) ابن حجر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ص (١/٢٠).

(٤) أخرجه: أحمد في الزهد، ص ٤٦٠.

مضـــــار الـــذنوب والمعـاصـي على العبـاد فـي الـداريـــن: وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله: فمنها: حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور. ومنها: حرمان الرزق: فكما أن تقوى الله مجلبة للرزق ؛ فترك التقوى مجلبةٌ للفقر ؛ فما استُجلِبَ رزقٌ بمثل ترك المعاصي[1]. ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولاسيما أهل الخير منهم ؛ فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة، بعد منهم ومِنْ مجالستهم، وحُرِمَ بركة الانتفاع بهم، وقَرُبَ من حزب الشيطان بقدر ما بَعُدَ من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم ؛ فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشاً من نفسه. وقال بعض السلف: إني لأعصى الله، فأرى ذلك في خُلق دابتي وامرأتي[2].

ومنها: تعسير أموره عليه ؛ فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه. وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً ؛ فمن عطل التقوى جعل الله له من أمره عسراً. ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن. ومنها: حرمان الطاعة ؛ فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يصد عن الطاعة لكفى. ومنها أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد، فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور ينقص.

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ سورة الأعراف الآية: (٩٦).

(٢) هو الفضيل بن عياض ؛ كما جاء في الحلية (١٠٩/٨).

ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها؛ كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

ومنها: - وهو من أخوفها على العبد- أنها تُضعف القلب عن إرادته؛ فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية؛ فلو مات نصفه لما تاب إلى الله، فيأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيءٍ كثير، وقلبه معقود بالمعصية مصرٌ عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه. وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحها، فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه! وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة، حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يعلم أنه عملها، فيقول: يا فلان! عملت كذا وكذا!! وهذا الضرب من الناس لا يعافون، ويُسد عليهم طريق التوبة، وتُغلق عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي ﷺ: ﴿ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ ﴾[1].

(١) أخرجه: البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٣٩٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومنها: أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم. وإذا هان العبد على الله؛ لم يكرمه أحد كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ**﴾[1]. وإن عظَّمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفاً من شرهم؛ فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه.

ومنها: أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك؛ فإن الذنب كلما صَغُرَ في عين العبد؛ عَظُمَ عند الله. وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا﴾[2].

ومنها: أن المعصية تورث الذل ولا بد، فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾[3]. أي: فليطلبها بطاعة الله؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعته، قال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين؛ فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه. وقال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذُّنوبَ تُميتُ القلوبَ وقدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدمانُها
وتَركُ الذُّنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسِكَ عصيانُها

(١) سورة الحج الآية: (١٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٣٠٨).

(٣) سورة فاطر الآية: (١٠).

قلتُ: قال ابن الجوزي – رحمه الله - : "لولا غيبة العاصي وقت المعاصي لكان كالمعاند لربه"(١). ومنها: أن الذنوب إذا تكاثرت؛ طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين. ومنها حرمان دعوة رسول الله ﷺ، ودعوة الملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

ومن آثار الذنوب والمعاصي: إنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهوى والزرع والثمار والمساكن قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(٢).

قال مجاهد: إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد فيحبس بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، ثم قرأ الآية السابقة. قال ابن زيد: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ قال: الذنوب: قلتُ: أراد أن الذنب سبب الفساد الذي ظهر. ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فهذا حالنا. وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابةٍ.

ومن تأثير معاصي الله في الأرض: ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها. ومن عقوباتها: أنها تطفي من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فإن الغيرة حرارته وناره التي

(١) من خطبة بعنوان "نسيان الآخرة" لفضيلة الشيخ/ محمد حسين يعقوب، صيد الخاطر: ابن الجوزي.

(٢) سورة الروم الآية: (٤١).

تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة ؛ كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد. وأشرف الناس وأعلاهم همةً أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس.

ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد، ولابد شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه.

ومن بعض عقوبة هذا: أن يرفع الله ﷻ مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفون به ؛ كما هان عليه أمره واستخف به ؛ فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق، وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته يعظمه الناس. وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته؟! أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس؟! أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق؟! ومن عقوباتها: أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة.

وأعظم العقوبات: نسيانُ العبدِ لنفسه، وإهمال لها، وإضاعةُ حظها ونصيبها من الله، وبيعها ذلك بالغبن والهوان وأبخس الثمن، فضيّع من لا غني له عنه، ولا عوض له منه. ومن عقوباتها: أنها تُضعِفُ سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه وتوقفه وتعطفه عن السير؛ فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه! فالذنب يحجب الواصل،

ويقطع السائر، ويُنَكِّسُ الطالب؛ والقلب إنما يسير إلى الله بقوته؛ فإذا مرض بالذنوب؛ ضعفت تلك القوة التي تسيره؛ فإن زالت بالكلية؛ انقطع عن الله انقطاعاً يبعد تداركه والله المستعان.

ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتُحِلُّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ: ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة.

ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي؛ فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً. ومن عقوباتها: أنها توقع الوحشة العظيمة في القلب، فيجد المذنب نفسه مستوحشاً؛ قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبين الخلق وبين نفسه، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة. وأمرُّ العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين.

فاستحضر – أخي الكريم – بعض العقوبات التي رتبها الله – سبحانه وتعالى – على الذنوب وجوَّز وصولها إليها إليك: واجعل ذلك داعياً للنفس إلى هجرانها، وأنا أسوق منها طرفاً يكفي العاقل مع التصديق ببعضه. فمنها: الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار، والإقفال على القلوب، وجعل الأكنة عليها، والرين عليها، والطبع عليها، وتقليب الأفئدة، والأبصار، والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الرب، وإنساء العبد نفسه، وترك إرادة الله تطهير القلب، وجعل الصدر ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، وصرف القلوب عن الحق، وزيادتها

مرضاً على مرضها، وإركاسها وإنكاسها، بحيث تبقى منكوسة. والمقصود أن من عقوبات المعاصي جعل القلب أعمي أصم أبكم[1] وغير ذلك كثير مما عُلِمَ خطره ولم يخفى أمره.

الـذنوب ســـبب لـوقـــوع الحـــالقـة:

والشاهد أن الذنوب والمعاصي من أهم وأول الأسباب التي تؤدي إلى الفرقة والخصام والنزاع وفساد ذات البين بين الأخوة، ولكي تتضح الصورة بجلاء وتتعمق المعاني وتترسخ في الأذهان نستمع إلى قوله النبي ﷺ: ﴿مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا﴾[2].

أخي الحبيب: أرأيت أن الذنوب سبب هلاك الأمم والشعوب، ووقوع الحالقة بكل الأماكن والدروب، وسبب لحصول الوحشة بين العبد وربه علاَّم الغيوب.

---

(١) ينظر ذلك بالتفصيل: ابن القيم، الداء والدواء.

(٢) رواه بهذا اللفظ البخاري في الأدب المفرد رقم (٤٠١) من حديث أنس ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٣١٠)، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٦٨/٢) من حديث ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ » وَيَقُولُ: « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا » الحديث. رواه أحمد أيضاً في مسنده (٧١/٥) من حديث رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلِيطٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ وَهُوَ فِى أَزْفَلَةٍ – جماعة- مِنَ النَّاسِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا - قَالَ حَمَّادٌ وَقَالَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - وَمَا تَوَادَّ رَجُلاَنِ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِحَدَثٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا وَالْمُحْدِثُ شَرٌّ وَالْمُحْدِثُ شَرٌّ وَالْمُحْدِثُ شَرٌّ ». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٥/١٠): رواه أحمد وإسناده حسن. هذا التخريج نقلاً عن أبي عاصم في: مفسدات الأخوة ص (٢٩ـ ٣٠) حاشية رقم (١). قلتُ: وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٣٧).

(إن الذنب هو الحاجز الذي يفصم عرى الأخوة ويفرق بين الصالحين، وهذا الذنب ليس بالضرورة أن يكون متعلقاً بحق أخيك، بل الذنوب مطلقاً التي يرتكبها العبد تؤدي إلى افتقاده لأحبابه وإخوانه واحداً واحداً إثر الآخر ... فربما كان الذنب متعلقاً بمعاملة مالية، وربما تركاً لواجب، أو خللاً في خلق أو سلوك، أو عدم حفظ للسان، من خسيس الكلام وقبيحه، وعن الغيبة والخوض في أعراض الناس وخصوصياتهم، وعن الاستهزاء بهم ... إلى غير ذلك من المعاصي والذنوب.

فتلك الذنوب من تفريط ومخالفات تؤدي إلى ضياع المحبة والأخوة؛ إما بطريق غير مباشر كعقوبة المعاصي؛ حيث يحرمك الله محبة إخوانك وإقبالهم، وإما بطريق مباشر وذلك أن يدرك أخوك أن جلوسك معه يورطه في الذنوب أو السكوت على منكر أو يذكره بالدنيا وينسيه ذكر الله والدار الآخرة، ويقوده للتقصير في العبادة، ويبعده عن القيام بمهام دعوته، فحينئذٍ تقل محبته لك ويشتاق إلى غيرك ...

قال حكيم: من أراد عزاً بلا عشيرة، وغني بلا مال، وجاهاً بين الإخوان، ومهابة عند السلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى طاعته[1]. ورحم الله امرءاً عرف حدود الشرع فالتزمها، وعرف حدود نفسه فوقف عندها.

---

(١) أبو عاصم: هشام بن عبدالقادر بن محمد آل عقدة: في رياض الأخوة، دار الصفوة، القاهرة، أول شبرا، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ، ص (٢٩- ٣٠) بتصرف يسير.

فاحذر أخا الإسلام أن تشوب محبتك لأخيك شائبة، واحذر أن يحبك الناس لله، والله مبغض لك ساخط عليك، فهو تعالى وحده الذي ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[1][2].

* * *

(١) سورة غافر الآية: (١٩).

(٢) أبو عاصم: في رياض الأخوة، ص ٣٨.

المبحث الثاني: الجـــدال: أنواعـــه، أســـبابـه، وعـــلاجـــه.

إن لفساد ذات البين، أسباباً ظاهرةً وأخرى باطنةً، فالظاهر منها قد يظهر من خلال الأقوال والأفعال، سواء كان بالهمس أو اللمز أو الطرف وغيرها، والباطن ما كان يدور في القلوب ولا يعلمه إلا علاَّم الغيوب، ومنها الحسد والحقد وسوء الظن وغيرها، ولعلك تعلمها من نفسك فـ: ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾[1].

وأول الأسباب التي تؤدي إلي الحالقة:

١. المُجادَلَةُ والجِدالُ: وهي المُخاصَمَةُ والخِصامُ. وقال الراغِبُ: الجِدالُ: هو المُفاوَضَةُ على سَبيلِ المُنازَعة والمُغالَبة. وكُل مِن الجَدَلِ والجِدالِ والمُجادَلَةِ جاء في القُرآن.

وقال الفَيومِيُّ: هو التَّخاصُمُ بما يَشْغَلُ عن ظُهورِ الحَقّ ووُضُوح الصَّواب، ثم استُعمِل على لِسانِ حَمَلَةِ الشَّرع في مُقابَلَةِ الأَدِلَّة؛ لظُهور أَرْجَحِها وهو محمودٌ إن كان للوُقوفِ على الحَقّ، وإلّا فمذمومٌ[2].

والجَدَل الذي نقف معه الآن هو: اللَّدَدُ في الخُصومة، والقدرةُ عليها، وقد جادله مجادلة وجِدالاً، ورجل جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال شديد الجَدَل، ويقال: جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي غلبته؛ ورجل جَدِل إذا كان أَقوى في الخِصام، وجادَله أَي خاصمه مُجادلة وجِدالاً، والاسم الجَدَل وهو شدَّة

(١) سورة الإسراء الآية: (١٤).

(٢) تاج العروس (٦٩٢٨/١)، انظر المصباح المنير ص ٩٣.

الخـصومة، وقيـل: الجَـدَل مُقابَلـة الحُجَّـة بالحجَّـة. والمُجَادَلَـةُ: المُنـاظَرةُ والمخاصَمة[1]. وفي تعريف أدق: الجدل دفع العبد خصمه عن إفساد قوله بحجةٍ قاصداً به تصحيح كلامه[2].

ولا بد أن تعلم أنه "قد تنقطع العلاقة المتينة الضاربة في الزمن بسبب جدال عقيم، داخلته حظوظ النفس، وبتغريرٍ من الشيطان يدافع عن عقيدته ووطنه، وهو في الحقيقة يدافع عن ذاته وكبريائه، بسبب بروز طبائع العناد والمكابرة فلا يبقى معها مكان للأخوة، ولا تقدير للعِشرة. عياذاً بالله سبحانه وتعالى، يضرب بالعشرة والمودة لما تصل إلى ملامسة ذاته وكبريائه؛ بسبب أنه لم ينصهر بعد في بوتقة الإيمان، وفي بحبوحة العقيدة.

وقال ﷺ: "مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ"[3].

أي ما ضل قوم مهديون كائنين على حال من الأحوال إلا أوتوا الجدل، يعني من ترك سبيل الهدى وركب سنن الضلالة، والمراد لم يمش حاله إلا بالجدل، أي الخصومة بالباطل، وقال القاضي: المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة، لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف

(١) ابن منظور: لسان العرب (١١/١٠٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر(١/٧٠٧)، القاموس المحيط، فصل الجيم، باب اللام، ص١٢٦١ والمصباح المنير ص٩٣ والمعجم الوسيط ١/١١١.

(٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ): الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (١/٧٣).

(٣) الترمذي(٥/٣٧٨) رقم (٣٢٥٣)، وابن ماجة (١/١٩) رقم (٤٨)، انظر حديث رقم: (٥٦٣٣) في صحيح الجامع. مفسدات الأخوة لـ/سعد الغنام http://www.islamdoor.com/k/71.htm

الحال، واستعلام ما ليس معلوماً عنده، أو تعليم غيره ما عنده لأنه فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث[1].

إذن من علامات الخذلان وضياع الهداية أن يؤتى الإنسان الجدل"[2].

يتضح مما مضى أن الجدال نوعان:

النوع الأول: الجدال المحمود الممدوح: وهو كل جدال أيّد الحق أو أوصل إليه بنية صالحة خالصة وطريق صحيح[3]. قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[4]. وقال عز وجل: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[5]. والمجادلة بالتي هي أحسن هي التي تكون عن علم، وبصيرة، وبحسن الخلق، ولطف، ورفق، ولين، وحسن خطاب، ودعوة إلى الحق، وتحسينه، ورد الباطل وبيان قبحه بأقرب طريق موصل إلى ذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق[6].

---

(١) المناوي: فيض القدير (٥/٤٥٣).

(٢) مفسدات الأخوة لـ /سعد الغنام **http://www.islamdoor.com/k/71.htm**

(٣) سعيد بن علي بن وهف القحطاني: آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، الطبعة الثالثة، (٣/٤)، نقلاً عن: منهاج الجدل في القرآن الكريم، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ص ٥٠.

(٤) سورة النحل الآية: (١٢٥).

(٥) سورة العنكبوت الآية: (٤٦).

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٢/٥٩٢ و٣/٤١٦، وتفسير السعدي ٤/٢٥٤ و٦/٩٢.

النوع الثاني: الجدال المذموم: وهو كل جدال أيد الباطل أو أوصل إليه أو كان بغير علم وبصيرة.

وهذا النوع هو من أعظم آفات اللسان، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ❖ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾(١). ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ، ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾(٢).

﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا**﴾(٣). ﴿**فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾(٤).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: "لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ"(٥).

وقال ابن مسعود ﷺ: (لا تعلموا العلم لثلاث: لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله، فإنه يدوم ويبقى، وينفذ ما سواه)(٦).

---

(١) سورة الحج الآية: (٣- ٤).

(٢) سورة الحج الآيتان: (٨، ٩).

(٣) سورة الكهف الآية: (٥٦).

(٤) سورة البقرة الآية: (١٩٧).

(٥) ابن ماجه ٩٣/١، رقم (٢٥٤)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب ٤٦/١، وصحيح ابن ماجه ٤٦/١.

(٦) الدارمي موقوفاً على ابن مسعود ﷺ ٧٠/١.

وقد ضمن النبي ﷺ بيتاً في الجنة لمن ترك الجدال بالباطل من أجل الله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ" (١).

ولا بد لك - أيها اللبيب- أن تعلم بأن الجدال بالباطل يسبب أمراضاً خفية قلبية حتمية، منها أنه: يقسي القلب، ويفتنه، وينبت فيه الضغينة؛ ويرقق الورع في المنطق والعمل(٢).

أخي: بالجدال تخسر المجال وتفسد الحال والمآل، قال عبد الله بن الحسن: "المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة"(٣).

وبالجدال تنبت "الحالقة" في أرض خصبة فتؤتي ثماراً كثيرة تدوم مدي الأيام، لا ينزعها نازع ولا يحول دون انتشارها شيء، إلا من رحم الله، وأعانه علي نفسه وشيطانه ودنياه وهواه ، لأن العداوة مصرع الرجال، وقبر الصالح من الأعمال.

الأســـباب الباعثـة علـى الجـــدال بالباطـــل:

لا شك أن الأسباب الباعثة على الجدال بالباطل كثيرة منها:

١. الغرور.

---

(١) أبو داود ٤/٤٠٠، رقم (٤٨٠٢)، وانظر جامع الأصول ١١/٧٥٤.

(٢) الشيخ/ محمد حسين يعقوب، الأخوة أيها الأخوة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م، ص ٩٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٢٧/٣٨٠).

٢. والكبرياء، والخيلاء.

٢. إظهار العلم والفضل.

٣. الاعتداء على الغير بإظهار نقصه وقصد أذاه.

وعلاج ذلك بالتوبة إلى الله تعالى، وبأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله، والعدوان الباعث على احتقار غيره وتنقصه[١].

وأما مباهاته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يَغْلِبْ ولا يُغْلَبْ، ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل، كالمناظرة، والجدل، وتحسين العبارة، وتسجيع الألفاظ، وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم، ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها، فيظهر فضله ونقصان أقرانه، ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه، ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه[٢].

وإذا أطلق العبد لنفسه العنان في الجدال بالباطل فإنه لا شك واقع في آفات كثيرة، ومصاب بأمراض خطيرة؛ ولكي يتلاشى تلك الآفات فلا بد له من تجنب الأسباب الباعثة علي الجدال بالباطل، والتوبة منها علاجاً مجملاً من غير تفصيل وللتدرج في علاج هذه الأسباب فلا بد من التفصيل.

(١) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين ١١٦/٣، دكتور زاهر بن عواض الألمعي: منهاج الجدل، ص ٥٩، ينظر: سعيد بن وهف القحطاني، آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة (ص ٤٩) بتصرف.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣٥١/٣).

١. **فالغرور**: الباطِلُ وما اغْتَرَرْتَ به من شَيْءٍ فهو غُرُورٌ [١]. والغُرُورُ من غَرَّ يَغُرُّ فَيَغْتَرُّ به المَغْرُورُ، والغَرورُ: الشّيْطانُ [٢]. فالغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع، وعبر عنه بعضهم بأنه: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشيطان، وفسر بالدنيا لأنها تغر وتمر وتضر. وقال الحرالي: هو إخفاء الخدعة في صورة النصيحة[٣].

فالمغرور ينطلق مدافعاً عن نفسه بلا إنصاف ولا روية، وكل ما يهمه أن يثبت للآخرين أنه: "الأجدر والأقوى والأفضل والأعلم و... "منتقلاً إلي صفة أقبح مما ولجها وهي الكبر؛ فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور[٤].

والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً، وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً[٥]. فيصل في نهاية المطاف إلي نهاية مؤلمة حتمية لا ينفك عنها، وهي الجدال بالباطل وبكل السبل الممكنة شرعية كانت أو غير شرعية، ليس له هدف وليس له هم إلا أن يكون هو الفائز في النهاية، ناسياً أو متناسياً - هذا المسكين - أنه تدرج به الأمر من مرض إلي أمرض منه فهوى في قاع محيط من الأمراض التي يصعب وصفها، فضلاً عن

(١) الزَّبيدي: تاج العروس (١/٣٢٨٨).

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (٤/٣٤٦).

(٣) الجرجاني: التعريفات (١/٢٠٨) برقم (١٠٤٤)، المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف (١/٥٣٧).

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/٣٦٥).

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/٣٧٨).

علاجها، وكل ذلك بسبب الغرور الذي جره إلي الجدال بالباطل فتطور به الأمر إلي "الحالقة" ﴿**فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾[1].

ولعلاج هذا الداء العضال لا بد له من حفظ لسانه، فلا يطلق له العنان في التحدث بالباطل فيغتر بنفسه ويظن أنه علي شيء. ولكي يستطيع أن يحفظ لسانه لا بد له من معرفة شروط الكلام - كما قال الماوردي - والتي لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يعرى من النقص إلا أن يستوعبها وهي أربعة:

الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في جلب نفع، أو دفع ضر.

الثاني: أن يأتي به في محله، ويتوخى به إصابة فرصة.

الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه الأربعة متى أخل المتكلم بشروط منها فقد أخطأ[2].

ومن مضار الغرور:

١. يفسد ثواب العمل.

٢.فيه جرأةٌ عظيمةٌ على الله ﷻ، فيؤدي إلى الخسران في الدنيا وعذاب الآخرة.

---

(١) سورة النحل الآية: (٢٦).

(٢) المناوي: فيض القدير (٢٩/٤) برقم (٤٤٤٠).

٣. فيه جهالة بحقيقة النفس وأن الإنسان قد خلق من صلصالٍ من حمأٍ مسنون.

٤. يتنافى مع العبودية الحقة لله تعالى، ويهلك الأمم ويصيب الأفراد بالأمراض النفسية الخطيرة.

٥. يورث الكبر والعجب وغيرهما من أمراض القلب.

٢. الكبرياء والخيلاء:

والكِبْرُ: مُعْظَمُ الشيءِ والشَّرَفُ ويُضَمُّ فيهما والإثمُ الكبيرُ كالكِبْرَةِ بالكسر والرِّفْعَةُ في الشَّرَفِ والعَظَمَةُ والتَّجَبُّرُ كالكِبْرِياءِ. وقد تَكَبَّرَ واسْتَكْبَرَ وَتَكَابَرَ[1].

الكِبْرُ: الإثْم وهو من الكَبيرة كالخِطْأِ من الخَطيئة. وفي المُحكَم: الكِبْر: الإثْم الكَبير كالكِبْرَة بالكَسْر التأنيث على المُبالَغة. الكِبْر: العَظَمَة والتَّجَبُّر كالكِبْرِياء، وقال ابنُ الأنباري: الكِبْرِياء: المُلْك في قوله تعالى: ﴿**وتَكونَ لكُما الكِبْرِياءُ في الأرضِ**﴾ أي المُلْك. وقد تَكَبَّر واسْتَكْبَر وتَكابَر وقيل: تَكَبَّر من الكِبْرِ وتَكابَر من السِّنِّ. والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار: التَّعَظُّم. وقوله تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عنْ آياتيَ الذينَ يَتَكَبَّرونَ في الأَرْض بِغَيْرِ الحقِّ**﴾. قال الزَّجَّاج: معنى يتكبَّرون أَنَّهم يَرَوْن أَنَّهم أفضلُ الخَلْق وأنّ لهم منَ الحقِّ ما ليس لغيرهم وهذه لا تكون إلا لله خاصَّة لأن الله ﷻ هو الذي له القُدْرَة والفَضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يَستحِقُّ أن يُقال له المُتَكَبِّر وليس لأحدٍ أن

(١) الفيروزآبادى: القاموس المحيط (٦٠٢/١).

يتكَبَّر، لأنَّ الناس في الحقوق سواءٌ، فليس لأحد ما ليس لغيره، وقيل: إنَّ "يتكَبَّرون" هنا من الكِبَرِ لا من الكِبْرِ أي يَتَفَضَّلون ويَرَوْن أنّهم أفضلُ الخَلْق. وفي البصائر: الكِبْر والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار متقاربة فالكِبْرُ: حالةٌ يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسَه أَكْبَر من غيره وأعظم، الكِبْر التَّكَبُّر على الله بالامتناع عن قبول الحقّ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِى وَالْعَظَمَةُ إِزَارِى فَمَنْ نَازَعَنِى وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِى النَّارِ ﴾(1)، وقَالَ ﷺ: ﴿وَثَلاَثَةٌ لاَ يُسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ يُنَازِعُ الله إِزَارَهُ، وَرَجُلٌ يُنَازِعُ الله رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرُ، وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ الله، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله﴾(2).

والخِيَلاءُ بكسرٍ ففتح: لُغَةٌ في الخُيَلاءِ بمَعْنى الكِبر. وهو مُخِيلٌ للخَيرِ: أي خَلِيقٌ له وحَقِيقَتُه أنه مُظْهِرٌ خَيالَ ذلك(3).

وفي مختار الصحاح(4): ... والخالُ والخُيَلاَءُ والخِيَلاَءُ بضم الخاء وكسرها الكِبْر تقول منه: اخْتَال فهو ذُو خُيَلاَء وذُو خالٍ وذو مَخِيلة أي ذو كِبْر. وخالَ

(1) حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٢/٤١٤) رقم ٩٣٤٨)، وهناد فى الزهد (٢/٤٢١ ، رقم ٨٢٥)، وأبو داود (٤/٥٩) رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (٢/١٣٩٧) رقم(٤١٧٤). وأخرجه أيضاً: ابن حبان (١٢/٤٨٦) رقم (٥٦٧١).

(2) البخاري فى الأدب، وأبو يعلى، والطبراني عن فضالة بن عبيد، أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١/٢٠٧ ، رقم ٥٩٠)، والطبرانى (١٨/٣٠٦) رقم (٧٨٩). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١٠/٤٢٢)، رقم(٤٥٥٩)، والبزار (٩/٢٠٤)، رقم(٣٧٤٩). قال الهيثمى (١/٩٩) رجاله ثقات.

(3) تاج العروس (١/٧٠٤٧).

(4) الرازي: مختار الصحاح (١/١٩٦).

لشيءَ ظَنَّه يَخَالُه خَيْلاً وخَيْلَة وخِيْلَة ومَخِيلة وخَيْلُولَةً. وفيه ...﴿من جَرَّ ثوبَهُ خُيَلاءَ لم يَنْظُرِ اللّه إليه﴾. الخُيَلاء والخِيَلاء بالضم والكسر - الكِبْرُ والعُجْبُ. يقال: اخْتال فهو مُخْتال. وفيه خُيَلاء ومَخِيلة : أي كِبْر[1]. ولقد قال ﷺ: ﴿الْفَخْرُ وَالْخُيَلاَءُ فِى الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِى أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ﴾[2].

وقَالَ: ﴿ لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِى إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِى وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ وَإِيَّاكَ وَتَسْبِيلَ الإِزَارِ فَإِنَّهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ وَالْخُيَلاَءُ لاَ يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنِ امْرُؤٌ سَبَّكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلاَ تَسُبَّهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ﴾[3].

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له[4]:

اعلم أن الكبر خلق باطن، وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة، وينبغي أن تسمى تكبراً، ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجب واحد وهو "العجب" الذي يتعلق بالمتكبر، - كما سيأتي معناه - فإنه إذا أعجب بنفسه، وبعلمه، وبعمله، أو بشيءٍ من أسبابه، استعظم وتكبر.

وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة:

---

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٥/٢).

(٢) رواه البخاري (١٢/ ٢٢١) برقم (٣٤٩٩).

(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٦٣) برقم (٢٠٦٥٢) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣٥٣/٣).

سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما.

١. أما السبب الذي في المتكبر، فهو "العجب".

٢. والذي يتعلق بالمتكبر عليه، هو"الحقد، والحسد".

٣. والذي يتعلق بغيرهما، هو "الرياء"[١].

فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب، والحقد، والحسد، والرياء.

❖ أما "العجب" فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن، والكبر يثمر التكبر الظاهر في الأعمال، والأقوال، والأحوال.

❖ وأما "الحقد" فإنه يحمل على التكبر، من غير عجب، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله، أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقداً، ورسخ في قلبه بغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان عنده مستحقاً للتواضع، فكم من رذل[٢] لا تطاوعه نفسه علي التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه، أو بغضه له، ويحمله ذلك علي رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه، وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك، وعلى أن لا يستحله، وإن ظلمه فلا يعتذر إليه، وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به.

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٣٥٤).

(٢) الرَّذْل والرَّذِيل والأَرذل: الدُّون من الناس، وقيل الدُّون في مَنْظَره وحالاته، وقيل هو الدُّون الخَسيس، وقيل هو الرَّديء من كل شيء، ورجل رَذْل الثياب والفعل، والجمع أَرذال ورُذَلاء ورُذُول. لسان العرب (١١/٢٨٠)، القاموس المحيط (١/١٢٩٩)، كتاب العين(٨/١٨٠)، مختار الصحاح (١/٢٦٧).

❖ وأما "الحسد" فإنه أيضاً يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء، وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق إلى العلم، وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده، أو أقاربه حسداً وبغياً عليه، فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

❖ وأما "الرياء" فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه، ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه، فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه.

وأما الذي يتكبر بالعجب، أو الحسد، أو الحقد، فإنه يتكبر أيضاً عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذباً، وهو يعلم أنه كاذب، ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق، ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير، وهو عالم باطناً بأنه لا يستحق ذلك.

فالكبرياء والخيلاء مصيبتان لا تنفك إحداهما عن الآخرى، فبينهما تلازم لازم، إذا أصيب العبد بإحداهما فالأخرى تابعة لها، لا تفارقها بل تعانقها كتعانق الروح والجسد.

والحكم الشرعي للكبر أنه من الكبائر، ذكر ذلك الإمام الذهبي وابن حجر وجعل معه العُجب والخيلاء[1].

علاج الكبر والخيلاء: ولعلاج الكبرياء والخيلاء لا بد من زجر النفس ولجمها بلجام الشرع الحنيف، فيتجنب دواعي الكبر والخيلاء في الكلام، والأكل، واللباس، وكل ذلك مفصل – ولا شك – في مواضعه من الكتاب والسنة. فعن معمر عن قتادة قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ هو الإعراض أن يكلمك الرجل وأنت معرض عنه"[2].

ولقد قال الحبيب ﷺ: ﴿ يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى يُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةِ الْخَبَالِ﴾[3].

قوله (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي في الصغر والحقارة (في صور) أي من جهة وجوههم أو صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة

(١) ينظر تفصيل ذلك في: موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٣٥٥).

(٢) ابن أبي الدنيا: التواضع والخمول (١/٢٦٧) برقم (٢٢٢).

(٣) رواه النسائي والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح، وانظر: صحيح الترمذي للألباني (٤/٦٥٥) رقم (٢٤٩٢)، (حسن) انظر حديث رقم: ٨٠٤٠ في صحيح الجامع، والأدب المفرد (١/١٩٦) رقم (٥٥٧).

الذر في الصغر (الرجال) أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة (يغشاهم الذل) أي يأتيهم (من كل مكان) أي من كل جانب.

والمعنى: أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطأهم أهل الحشر بأرجلهم من هوانهم على الله. (يساقُون) أي يسحبون ويجرون (إلى سجن) أي مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره (يسمى) أي ذلك السجن (بُوْلَس) (تعلوهم) أي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق (نار الأنيار) يحتمل أن يكون معناه نار النيران، فجمع النار على أنيار وأصلها أنوار، قال القاضي: وإضافة النار إليها للمبالغة كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها انتهى[1]. قال القارئ: أو لأنها أصل نيران العالم لقوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى**﴾[2]، ولقوله ﷺ: ﴿نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ﴾ على ما ذكره البيضاوي انتهى.

(ويسقون) بصيغة المجهول (من عُصارة أهل النار) وهو ما يسيل منهم من الصديد والقبح والدم، (طينة الخبال) والخَبال في الأصل الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول[3].

(١) المباركفوري أبو العلا: تحفة الحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٦٣/٧).

(٢) سورة الأعلى الآية: (١٢).

(٣) تحفة الأحوذي (١٦٢/٧، ١٦٣).

وعن عبد الله بن هبيرة: أن سلمان سُئِلَ عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة؟ قال: الكبر[1]؟! وقد قيل لعمر بن عبد العزيز ﷺ: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ؟ فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك، أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك"[2]، وقال الأحنف بن قيس: "عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين"[3]، وقال ابن القيم: أركان الكفر أربعةٌ: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة[4].

فانظر - رحمك الله - كيف كان سلفك الصالح؟ وانظر إلي أقوالهم وأفعالهم فقد علموا أن الكبر والخيلاء من المهلكات فعالجوا أنفسهم وقضوا علي الكبر والخيلاء فاستحقوا بحقٍ هذه السيرة العطرة التي ملئت الدنيا نوراً، فسعدت بأفعالهم بطون الكتب قبل عيون وعقول الرجال، فعليهم جميعاً رحمة الله.

وقد كانوا إذا عدوا قليلاً فقد صاروا أقل من القليل

فيا رب هب لنا من مثلهم نفراً يشيدون لنا مجداً أضعناه

من أهـم مضـار الكـبر:

١.دليلٌ على سفول النفس وانحطاطها.

٢.الشعور بالعذلة وضيق النفس وقلقها.

---

(١) ابن أبي الدنيا: التواضع والخمول (١/٢٧٤) برقم (٢٢٩).

(٢) ابن الجوزي: صيد الخاطر (١/٢٨٢).

(٣) موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٣٧٦).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٣٧٩).

٣.اشمئزاز الناس من المتكبر وتفرقهم من حوله.

٤.هلاك النفس وذهاب البركة من العمر.

٥.يصرف المتكبرون عن فهم آيات الله عز وجل فتعمى بصائرهم وهم لا يرون الحق ويستحقوا العذاب في النار[1].

٣.إظهار العلم والفضل:

وهو من الأمراض الخبيثة التي نسأل الله ﷻ أن ينجينا منها وجميع المسلمين؛ وهذا الأمر مشاهد ملموس خصوصاً إذا دخل الداخل وعلا الصوت واعتقد كل واحد أنه الأصوب، فيحدث الجدال الممقوت تاركاً خلفه نفايات محرمة شرعاً، لا يمحوها إلا التوبة النصوح.

فتجده يخطو نحو الهاوية بكل شجاعة، غير عابئ بالنتائج إلا نتيجة واحدة وهي أنه: "صاحب علم وفضل، وقد قرأ كتاب كذا وكذا، وسمع لفلان وفلان، وقابل آخرين، وحفظ متن كذا وكذا، ويدخل حجرةً للعمليات الغير شرعية محملاً النصوص فوق طاقتها باتراً منها ما يؤيد كلامه، حاذفاً منها ما يظهر نقصه وعواره، كل همه "أنا، وأنا فقط"؟؟!

(١) موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٣٨٠).

عـن أبـي هريـرة ﵁ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: "مَـا نَقَـصَتْ صَـدَقَةٌ مِـنْ مَالٍ[١]، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا [٢]، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَـهُ اللَّـهُ".

(وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلـوب منزلـة، ويرفعـه الله عند الناس ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخـرة ورفعـه فيهـا بتواضـعه في الـدنيا[٣]. قـال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معاً في جميعها في الدنيا والآخرة[٤].

فالمتواضع قد يكون ذليلاً في الظاهر ولكنه مرفوعـاً عزيـزاً عنـد الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وعند الصالحين في الدنيا، ويكفيه ذلك.

ولكي نعيش مع سلفنا ونـرى كـم كـانوا متواضـعين عـالمين غـير متعـالمين فتعالِ معي - أخي الكريم- لنقطف مـن أزاهيرهـم ونستنشق مـن عـبيرهم ويسعنا ما وسعهم، وحسبنا أن نكون علي جادتهم، وإن أبطأ بنـا الـسير فـإن أمير القوم يرعي القافلة، وسلفنا هم سادة الدنيا.

---

(١) (ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقـص الصورة بالبركة الخفية، وهذا مدرك بـالحس والعـادة. والثاني: أنـه وإن نقـصت صـورته، كان في الثـواب المرتـب عليـه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

(٢) (وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً) فيه أيضاً وجهـان: أحـدهما: عـلى ظـاهره، ومـن عـرف بـالعفو والـصفح سـاد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه.والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

(٣) شرح صحيح مسلم (٤/٢٠٠١).

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٠٠١).

وبالسلفيةِ إعجابنا إذا قلَّ بالسلفِ المعجبُ[1]

﴿ مـــن أخـــــلاق الســـــلف ﴾

عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ: لاَ تَكُونُ عَالِماً حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّماً، وَلاَ تَكُونُ بِالْعِلْمِ عَالِماً حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلاً، وَكَفَى بِكَ إِثْماً أَنْ لاَ تَزَالَ مُخَاصِماً، وَكَفَى بِكَ إِثْماً أَنْ لاَ تَزَالَ مُمَارِياً، وَكَفَى بِكَ كَاذِباً أَنْ لاَ تَزَالَ مُحَدِّثاً فِى غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ[2].

قال إبراهيم بن الأشعث: سألتُ الفضيل عن التواضع؟ قال: "التواضع أن تخضع للحق، وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه"[3].

قال أبو صالح الفراء سمعت بن المبارك يقول: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل"[4].

---

(١) الدكتور/ سيد حسين العفاني، رهبان الليل، ط ٨ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، (٢٧/١)، بتصرف يسير.

(٢) سنن الدارمى (١/ ٣٢٩).

(٣) ابن أبي الدنيا: التواضع والخمول (١١٨/١) برقم (٨٨).

(٤) التواضع والخمول (١١٩/١) برقم (٨٩).

قال صالح المري: خرج الحسن، ويونس، وأيوب، يتذاكرون التواضع، فقال لهما الحسن: وهل تدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً!!" [١].

عن عامر بن عبد الله قال: "من تواضع تخشعاً رفعه الله، ومن تكبر تعظماً وضعه الله"[٢]. عن شيخ من أحنف قال، سمعت علياً يقول: "تبذل لا تشهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم أكتم، واصمت تسلم؛ تسر الأبرار وتغيظ الفجار"[٣].

قال إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان: "أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة "[٤]؟!. وذكر عن أبي العالية: "أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام"[٥]!! عن الحسن قال: خرج بن مسعود ذات يوم من منزله، فاتبعه الناس، فالتفت إليهم فقال: علام تتبعوني؟! والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان[٦]؟؟

وقد ورد عمير بن عبد الملك الكناني: أن رجلاً صحب بن محيريز في سفر، فلما أراد أن يفارقه قال أوصني، قال: إن استطعت أن لا تَعْرِفْ ولا

(١) التواضع والخمول (١/١٥٢) برقم ١١٦.
(٢) التواضع والخمول (١/١٦٤) برقم١٢٦.
(٣) التواضع والخمول (١/٦٣) برقم ٣٤.
(٤) التواضع والخمول (١/٧١) برقم ٤٦.
(٥) التواضع والخمول (١/٧٣) برقم ٤٧.
(٦) التواضع والخمول (١/٧٨) برقم ٥٢.

تُعْرَفْ، وتمشي ولا يُمشي إليك، وتسأل ولا تُسأل، فافعل[1]؟؟ وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض وهو خلف سارية وحده، وكان لي صديقاً، فجئته فسلمت عليه، وجلست إليه، فقال: يا أخي ما أجلسك إلي؟ فقلتُ: وجدتك وحدك، فاغتنمت وحدتك. فقال: أما إنك لو لم تجلس إليَّ لكان خيراً لك وخيراً لي، فاختر إما أن أقوم عنك فهو والله خير لك وخير لي، وإما أن تقوم عني؟

فقلتُ: بل أنا أقوم عنك فأوصني بوصية ينفعني الله ﷻ به؟ قال: يا عبد الله، أخف مكانك، وأحفظ لسانك، واستغفر الله ﷻ لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك"[2].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض"[3].

وسئل الشعبي عن مسألة؟ فقال: لا علم لي بها. فقيل له: لا تستحي؟ فقال: ولمَ أستحي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾؟ وقال علي ﷺ من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. وقال: كفى بالعلم شرفاً

(١) الأبشهي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأبشهي: المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦م، ص ٥٠.

(٢) التواضع والخمول (١/ ٩١) برقم ٦٨.

(٣) التواضع والخمول (١/ ٣٤) برقم ١١.

أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه؛ وكفى بالجهل ضعةً أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه[1]. قال البستي:

إذا لم يزدْ علمُ الفتى قلبَه هدىً ... وسيرتَه عدلاً وأخلاقه حسناً

فبشره أن الله أولاه فتنةً ... تغشيه حرماناً وتوسعه حزناً

وقال الهيثم بن جميل: إني شهدت مالكاً وقد سُئِلَ عن ثمان وأربعين مسألة؛ فقال: في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري[2]. وقيل لأفلاطون: ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً؟ قال: مدح الإنسان نفسه[3].

أخي الحبيب: أسمع إلى قول سهل بن عبدالله التستري –رحمه الله- لرجل سأله متى يعلم الرجل أنه من أهل السنة والجماعة؟ فقال: إذا عرف من نفسه عشر خصالٍ: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة (أو قال الجمعة) خلف كل والٍ جَارَ أو عَدَلَ[4].

٤ـ الاعتداء على الغير بإظهار نقصه وقصد أذاه: ولهذا الاعتداء وجهان:

---

(١) الأبشهي: المستطرف، ص ٥٠.

(٢) الأبشهي: المستطرف، ص ٥١.

(٣) الأبشهي: المستطرف، ص ٦٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٩/٤٣٤٨ـ ٤٣٤٩).

الأول: ظاهر جلي، وذلك بأن يواجهه ويحدثه سواء أكان ذلك أمام الناس أو منفردين.

الثاني: باطن خفي، وذلك بأن يظن به السوء من خلال كلمة أُلقيت إليه، أو همسة مرت عليه، فيبني عليها شاهقات أعلى من جبال الهملايا، ويُقَعِّدُ عليها قواعد لا تقبل المناقشة؛ ثم يتطور به الأمر إلي نقل هذه الصورة المعتمة الخبيثة إلي الآخرين، فينتشر هذا الفهم الخاطئ كانتشار النار في الهشيم.

وإذا وصل إلي هذه الصورة فقد وصل إلي طريق مسدود، لأنه أساء النية ولم يقصد إبانة الحق بل قصد فقط أذية أخيه المسلم، ولقد قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[1].

أي: صدقاً؛ وعن قتادة: أي عدلاً، يعني به في منطقة وفي عمله كله، والسديد: الصدق[2].

وعند ابن كثير: أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها"[3].

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان: (٧١، ٧٠).

(٢) تفسير الطبري (١٠/٣٣٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٦٨٨).

وفي شمول أعم عند القرطبي: "هـو الـذي يوافـق ظـاهره باطنـه، وقيـل: هو ما أُرِيدَ به وجه الله دون غيره، وقيل: هو الإصلاح بين المتشاجرين، وهو مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض، والقول السداد: يعم الخيرات، فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك"(١).

وليس من أخلاق المؤمنين أن تكون عندهم هذه النية السيئة المبيتة لأن ذلك يؤدي - ولا شك- إلي تجاذب حبل المودة بينهم مما يؤدي إلي تمزيقه وفي بعض الأحيان إلي قطعة.

فالنعم تقيد بالشكر، وشكر نعمة الألفة والأخوة والمحبة التي زقنا الله ﷻ بها ليست بتغيير النية بقصد أذية الغير وإظهار نقصهم مما يؤدي إلي الكبر والخيلاء والمراء والجدال العقيم الذي يؤدي بدوره وفي تسلسل منطقي إلي "الحالقة"؛ ليست هذه المقدمات التي تؤدي إلي نتائج إيجابية ملموسة، بل الذي يجب أن نقدمه لنشكر به هذه النعمة العظيمة هو:

١. الإغضاء عن العيوب والنقائص.

٢. ستر الزلات وعدم تتبع العورات.

٣. التماس المعاذير.

٤. حسن التأويل للمواقف التي نجد فيها للخير محملاً.

٥. عدم قول كل ما نسمع، وألاَّ نسمع كل ما يقال.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/٢٢٥)، وفتح القدير (٤/٤٣٧).

وقبل أن أتركك إلى المبحث التالي – أيها الحبيب – دعني أهمس في أذنيك قائلاً لك: "إن من أشد الأسباب إثارةً للحقد والحسد بين الإخوان المماراة"[1].

ولا تنس - أخا الإسلام – أن **من مضار الجدال أنه**:

١. يحرم صاحبه من الوصول إلى الحق ومعرفة الرشد.

٢. يورث البغضاء والكراهية.

٣. سبب للمعاقبة من الحرمان من السعادة التي يحظى بها الباحث عن الحق.

٤. طول ممارسته يغري بالتمادي في الباطل.

٥. يؤدي إلى سوء العاقبة بالحرمان من المنزلة العالية في الجنة[2].

* * *

(١) ابن قدامة: مختصر منهاج القاصدين ص ٩٨.

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٤٣٤٩).

المبحــث الثـالـث : ســـوء الظـن، أسـبابه، التحـذير منه، وعـلاجـه.

سوء الظن[1] : هو اعتقاد جانب الشر وترجيحه على جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معاً. ولخطورة هذه الصفة القبيحة وعدم ملاءماتها لخلق المسلم فقد عدَّها ابن حجر من الكبائر وقال : " ... وهذه الكبائر مما يجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها لأن من كان في قلبه مرض منها لم يلق الله – والعياذ بالله – بقلبٍ سليم، وهذه الكبائر يُذَمُّ العبد عليها أعظم مما يذم على الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن وذلك لعظم مفسدتها، وسوء أثرها ودوامه إذ إن آثار هذه الكبائر ونحوها تدوم بحيث تصير حالاً وهيئةً راسخة في القلب، بخلاف آثار معاصي الجوارح فإنها سريعة الزوال، تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ونقل عن َابْنُ النَّجَّارِ ﴿ مَنْ أَسَاءَ بِأَخِيهِ الظَّنَّ فَقَدْ أَسَاءَ بِرَبِّهِ، إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ**﴾[2].

ولسوء الظن قسمان: أحدهما سوء الظن بالله ﷻ، وليس هذا موضعه. والآخر وهو موضع الشاهد وهو: سوء الظن بالمسلمين وهو أيضاً من الكبائر، وذلك أن من حَكَمَ بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذه مهلكات ... وكل من رأيته سيئ الظن بالناس طالباً لإظهار معايبهم

---

(١) الظن هو الشك يعرض في الشيء فتحققه، وتحكم به. ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٣/٣).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٤٦٥٢/١٠)، وكلام ابن حجر نقلاً عن الزواجر.

فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته ؛ فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه ، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه[1].

واعلم أن سوء الظن : جالب للهم والغم ، ومتضمن ظلم المظنون فيه ، فكم ظُنَّ في رجل سوء وعُمِلَ على أساسه دون علمه ومن غير سؤاله والاستفسار منه ، ثم تبين خلاف ذلك[2].

لذلك فـ" إن سوء الظن من الفخاخ التي يصطاد بها الشيطان قلوب العباد ؛ لأنه من عوامل تفكيك الجماعات ، وفساد العلاقات ، وتقطيع أواصر المحبة ، وفي هذا الجو المظلم يستطيع الشيطان أن يعمل عمله ، ويتفذ خطته ، فيصطاد المسلمين واحداً تلو الآخر ، لأنهم تفرقوا ولم يعتصموا ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية[3]. لذلك قال حمدون القصار : "إذا زلَّ أخ من إخوانك ، فاطلب له تسعين عذراً ، فإن لم يقبل ذلك فأنتَ المعيب[4].

قال ابن قدامة المقدسي – رحمه الله - : " فليس لك أن تظن بالمسلم شراً ، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل فإن أخبرك بذلك عدل ، فمال قلبك إلى تصديقه ، كنت معذوراً ، لأنك لو كذبته كنت قد أسأت الظن بالمخبر ، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيئه بآخر ، بل ينبغي أن تبحث ، هل بينهما عداوة وحسد؟ فتتطرق التهمة حينئذ بسبب ذلك ، ومتى خطر لك

(١) موسوعة نضرة النعيم (١٠/٤٦٥٣).

(٢) سلمان بن يحي المالكي : من مفسدات الأخوة.

(٣) وحيد عبدالسلام بالي : وقاية الإنسان من الجن والشيطان ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، الطبعة ١١ ص ١٧١.

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٢/١١٤)، نقلاً آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (٩).

خاطر سوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقى إليك خاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. وإذا تحققت هفوة مسلم، فانصحه في السر. واعلم: أن من ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهي عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، ولو لم ينكشف لك، كان قلبك أسلم للمسلم[1].

والذي ينبغي أن يعتقده المسلم في إخوانه المسلمين: حسن الظن لأن ذلك من مصلحة المُعْتَقِد والمعتقد فيه؛ ولقد كانت هذه أخلاق السلف ولهذا روي أن أبا حنيفة كان يحيي نصف الليل، فمر يوماً في طريق فسمع إنساناً يقول: هذا الرجل يحيي الليل كله!! فقال: أرى الناس يذكرونني بما ليس فيَّ! فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله، وقال: أنا أستحي من الله أن أوصف بما ليس في من عبادته[2].

الأســـباب الباعثـة علـى ســـوء الظـن: إن من أهم الأسباب الباعثة على سوء الظن والجالبة له كثيرة، منها:

١) الخوف من الشخص: وهذا يوقع المرء في الشك والتهمة في مراده فيحمل قوله أو فعله على محمل سيئ.

(١) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي (٣/ ٣٢).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/٧٦) بتصرف.

٢) التصور السابق عن الشخص من خلال ما يسمع عنه من حكايات وكلام قد لا يكون صحيحاً، فيحمل تصرفاته الاعتيادية على أن المراد منه الشر.

٣) التربية السيئة من خلال معايشة الفرد لبيئة تصور في أحاديثها تصرفات الناس على مراد سيئ، فيتشرب الناشئ أثناء معايشته لأسرته أو أصدقائه تلك الظنون السيئة، فتنطوي أخلاقه على هذه الرذيلة السلوكية.

٤) امتلاء القلب بالحقد والكراهية للآخرين، مما يجعل الإنسان يسئ الظن فيمن يحيطون به بعضاً أو كلاً.

٥) الظهور في مواطن الريبة وإن كان غير متعمد، يجعل من الآخرين يسيئون الظن في صاحبه، لأنهم لا يعلمون الأسباب والملابسات.

٦) الجهل أو الغفلة عن الآثار المترتبة على سوء الظن: من الأثم، والتقاطع والتفكك الاجتماعي[1].

التحـــــذير مـن ســـــوء الظـن فـي القـــــرآن:

قال تعالي: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2]، قال ابن كثير (٤/٢١٧) وغيره في تفسيرها: "يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون

(١) ا. د/ خالد بن حامد الحازمي: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، سنة ١٤٢٥هـ، الطبعة الأولى، ص ١١٩- ١٢٠ بتصرف يسير جداً.

(٢) سورة الحجرات الآية: (١).

إثماً محضاً فليتجنب كثير منه احتياطاً، ولقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً " انتهى كلام ابن كثير.

وجميع ما أمرنا الله به من ذلك يؤدي إلى صلاح ذات البين، وفي صلاح ذات البين صلاح أمر الدنيا والدين[1].

قال ابن الجوزي في زاد المسير: "قال ابن عباس: نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شراً؛ وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً؟!

وقال الزجاج: هو أن يظن بأهل الخير سوءاً، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم[2].

ومن الطبيعي إن لم يلجم لسانه، ويطهر جنانه عن قول الإثم وظن السوء، فإنه سوف يقع في مستنقع من الأوحال، وفي قاعه سوف يكابد آلام الغيبة والنميمة وغيرها من الأمراض الخبيثة التي تجعله فقيراً غريقاً مفلساً يوم يقل المعين، ويأتي عارياً مادياً ومعنوياً من الثياب والحسنات وكل شيء.

فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ قَالَ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ

(١) الجصاص: أحكام القرآن (٥/٢٩٠).

(٢) ابن الجوزي: زاد المسير (٧/٤٦٩).

الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ[1].

(إن المفلس من أمتي): معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلساً وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه[2].

التحـــذير مـن ســـوء الظـن في الســـنة:

أخي الكريم: ومع أقوال النبي ﷺ تستريح القلوب، وتنفرج المصاعب وتُحل الكروب، وتنير العقول وتطوى الدروب، وتزول الحالقة وشتى الذنوب.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا". وفي رواية: "ولا تنافسوا"[3].

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٩٧).

(٢) شرح صحيح مسلم برقم (١٩٩٧/٤) برقم (٢٥٨١).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٩٧٦/٥) رقم (٤٨٤٩)، ومسلم (١٩٨٥/٤) رقم (٢٥٦٣).

(إياكم والظن) احذروا سوء الظن بالمسلمين، ولا تحدثوا عن عدم علم ويقين، لا سيما فيما يجب فيه القطع. (أكذب الحديث) أي يقع الكذب في الظن أكثر من وقوعه في الكلام. (تجسسوا) من التجسس وهو البحث عن العورات والسيئات. (تحسسوا) من التحسس وهو طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة عنه[1].

قال سفيان الظن ظنان: فظن إثم، وظن ليس بإثم، فأما الظن الذي هو إثم فالذي يظن ظناً ويتكلم به، وأما الظن الذي ليس بإثم فالذي يظن ولا يتكلم به[2].

وأما قوله: (ولا تجسسوا ولا تحسسوا) فقيل: معنى التجسس ومعنى التحسس سواء، أو قريب من السواء. وروى بن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﷻ(ولا تجسسوا) قال: خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر الله ﷻ.

وروى هشيم عن مجاهد عن الشعبي قال: فقد عمر بن الخطاب رجلاً في الصلاة فانطلق هو وعبد الرحمن بن عوف فنظرا إليه وامرأته تناوله قدحاً فيه شيء، فقال عمر: هذا الذي حبسه عنا؟ فقال له عبد الرحمن: وما يدريك ما في القدح؟ قال عمر: أتخاف أن يكون هذا من التجسس؟ قال عبد الرحمن: بل هو التجسس!! قال: فما التوبة من هذا؟ قال: أن لا يكون في قلبك عليه من هذا المجلس شيء أبداً.

---

(١) شرح صحيح البخاري (٥/١٩٧٦).

(٢) سنن الترمذي (٤/٣٥٦)، الاستذكار (٨/٢٩١).

وروى الأعمش عن زيد بن وهب قال: أتي ابن مسعود فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً؟! فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذه به[1].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ﴾. فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا[2].

فلا بد من الابتعاد عن سوء الظن والتحلي بحسن الظن، لأن في هذا الخير الكثير والفضل العميم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ﴾[3].

الغر: الذي لم يجرب الأمور، وإنما جعل المؤمن غراً نسبة إلى سلامة الصدر وحسن الباطن، والظن في الناس، فكأنه لم يجرب بواطن الأمور، ولم يطلع على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة لا يتعدي إليهم منه شر، بل لا يكونون فيه شر فيتعدى؛ أما الخب: فهو الخداع المكار الخبيث[4]. قال الشيخ الألباني –رحمه الله– : "الغر في كلام العرب هو الذي لا غائلة ولا باطن له يخالف ظاهره، ومن كان هذا سبيله أمن المسلمون من لسانه ويده

(١) الاستذكار (٨/٢٩١).

(٢) ورواه أبو داود (٤/٢٧٢) برقم (٤٨٨٨)، وانظر صحيح الجامع برقم (٢٢٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٢)، الطبراني: المعجم الكبير (١٦٦)، البيهقي: شعب الإيمان (٨١١٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٥).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٥/١٦٠٤)، حاشية رقم (٥ـ٦).

وهي صفة المؤمنين. والفاجر: ظاهرة خلاف باطنه، لأن باطنه هو ما يكره وظاهره مخالف لذلك؛ كالمنافق الذي يظهر شيئاً غير مكروه منه وهو الإسلام الذي يحمده أهله عليه ويبطن خلافه؛ وهو الكفر الذي يذمه المسلمون عليه"[1].

وفي عون المعبود (المؤمن غر كريم) أي موصوف بالوصفين أي له الاغترار لكرمه (والفاجر) أي الفاسق (خب) أي يسعى بين الناس بالفساد، والتخبب وإفساد زوجة الغير أو عبده (لئيم) أي بخيل لجوج سيئ الخلق وفي كل منهما الوصف الثاني سبب للأول وهو نتيجة الثاني فكلاهما من باب التذييل والتكميل.

قال الخطابي في المعالم: معنى هذا الكلام أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وأن ذلك ليس منه جهلاً، لكنه كرم وحسن خلق، وأن الفاجر من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلاً ولكنه خب ولؤم، انتهى[2].

قال المناوي: (المؤمن غر) أي يغره كل أحد ويغره كل شيء ولا يعرف الشر وليس بذي مكر ولا فطنة فهو ينخدع لسلامة صدره وحسن ظنه وينخدع لانقياده ولينه (كريم) أي شريف[3].

(١) ينظر: تعليق الشيخ على الحديث رقم (٩٣٥) (٢/٦٠٧) في السلسلة الصحيحة للألباني.

(٢) العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٠١-١٠٢) رقم (٤٧٩٠).

(٣) المناوي: فيض القدير (٦/٢٥٤) رقم (٩١٤٩)؛ المنذري: الترغيب والترهيب (٣/٢٥٩) رقم (٣٩٤٨).

ويؤكد هذه الحقيقة الرسول ﷺ، ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ[1]. يريد – والله أعلم – "أنها مثلها في أنها خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا"[2]، وقد غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ لمنع وقوع "سوء الظن":

﴿عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا﴾[3].

ومعنى: (ليقلبني) أي: ليردني إلى منزلي، (على رسلكما)[4]. أي: على هيئتكما في المشي فما ها شيء تكرهانه[5]. قيل: "هو على ظاهره، أن الله جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجرى الدم. وقيل: استعارة،

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٨٣) رقم (٢٨٤٠).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٣/١٠٧).

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٣١٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢١٧٥).

(٤) بكسر الراء وفتحها لغتان، والكسر أفصح وأشهر.

(٥) شرح صحيح مسلم رقم (٢١٧٥).

لكثرة وسوسته فكأنه لا يفارقه كما لا يفارق دمه. وقيل: إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة في البدن بحيث يصل إلى القلب؛ وفيه كمال شفقته ﷺ على أمته لأنه خاف أن يلقي الشيطان في قلبهما شيئاً فيهلكان، فإن سوء الظن بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفر[1]. قال صاحب عون المعبود: "قال الشافعي: معناه أنه خاف عليهما الكفر لو ظنا به ظن التهمة، فبادر إلى إعلامهما بمكانها نصيحةً لهما"[2]، فسد الذريعة إلى ظنهما السوء بإعلامهما أنها صفية[3].

قال الشافعي – رحمه الله – : "أراد الله أن يعلم أمته التبري من التهمة في محلها لئلا يقعا في محذور، وهما كانا أتقى لله من أن يظنا بالنبي ﷺ شيئاً؛ والله أعلم"[4]. قال الخطابي: وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب[5].

فمقام النبي ﷺ في الأمة مقام الطبيب الناصح في بيمارستان يحوى أصنافاً من المرضى، إذا رأى طعاماً يُجلب لما لا يصلح ببعض مرضاه أن ينهى عن

(١) بدر الدين العيني الحنفي: عمدة القاري (١٧٦/١٥).

(٢) العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/ ١٠٣).

(٣) ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٣٦١/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٩٨/١)، والمختصر (١٣٢/١).

(٥) ابن الجوزي: تلبيس ابليس (٤٦/١).

إدخاله خشية أن يتناوله من المرضى من لا يصلح ذلك بمرضه، ويزيد في علته، أو يفضى إلى انتكاسه[1].

قال عمر ﷺ: من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن. ومر برجل يكلم امرأةً على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتي!! فقال: هلا حيث لا يراك أحد من الناس؟[2].

أقـــــوال الســـــلف:

ولتعلم أن خير الكلام بعد كتاب الله وسنة الحبيب ﷺ هو قول السلف الصالح، فلقد ورد عن سعيد بن المسيب قال: وضع عمر بن الخطاب ﷺ للناس ثماني عشرة كلمة، حكمٌ كلها، قال: ما عاقبت من عصى الله فيك مثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شراً أنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، وعليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء، عدة في البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك، ولا تعرض فيما لا يعني، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلاً عما لم يكن، ولا تطلب حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله، ولا تصحب الفجار لتعلم من فجورهم، واعتزل عدوك، واحذر

(١) التحرير والتنوير (١/٣٣٦١).

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (٢/٢٠).

صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله، وتخشع عند القبور، وذل عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر الذين يخشون الله فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[١][٢].

قال عليٌّ رضي الله عنه: "من لم يحمل أخاه على حسن النية، لم يحمده على حسن الصنعة"[٣]. قال ابن عباس: "أحب إخواني إليَّ الذي إذا أتيته قبلني وإذا رغبتُ عنه عذرني"[٤]. قال أبو بكر الوراق: طهارة القلب في شيئين: إخراج الحسد والغش، وحسن الظن بجماعة المسلمين"[٥].

وعليك أيها الأخ الحبيب إن كان قد عافاك الله من هذه الصفة الذميمة ألا تفتح لها باباً، ولا تسمع لأهلها سباباً.

روى الربيع بن صبيح: أن رجلاً قال للحسن يا أبا سعيد إني أرى أمراً أكرهه!! قال: وما ذاك يا أخي؟ قال: أرى أقواماً يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقط كلامك ثم يحكونك ويعيبونك! فقال: يا أخي لا يكبرون هذا عليك؛ أخبرك بما هو أعجب؟ قال: وما ذاك يا عم؟ قال: أطمعت نفسي في جوار الرحمن، وحلول الجنان، والنجاة نم النيران، ومرافقة الأنبياء، ولم

(١) سورة فاطر الآية: الآية (٢٨).

(٢) السيوطي: الدر المنثور (٢٢/٧).

(٣) السيوطي: الدر المنثور (٢٢/٧).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (١١١/٢).

(٥) الألوسي: روح المعاني (١٤٧/٦).

أطمع نفسي في السلامة من الناس، إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم، فإذا لم يسلم خالقهم فالمخلوق أجدر ألا يسلم[1].

أفعـــــال الســـــلف لمنـــع وقـــــوع ســـــوء الظـــــن:

أخي: إن أعظم كارثة تتسبب في وقوع الحالقة "سوء الظن"وذلك إن لم يعالج بالطرق الشرعية، وسؤال أهل العلم عما شاع وذاع، فقد يصل إلى مسامع الفرد شيئاً في ظاهره السوء ولكنه في باطنه الخير، فالواجب على المؤمن التقي ألا يدع مجالاً لسوء الظن، وهذا في البداية، ثم إذا وجد في نفسه ما يدعوه ويقوي ظنه أن يُرجع الأمر لأهله، وفيما يأتي دليلاً شافياً كافياً للموحدين.

عن عُثْمَانُ - هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ – قَالَ: ﴿ جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ. قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ شَىْءٍ فَحَدِّثْنِى. هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ. أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ». وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَوْ

(١) الجصاص: أحكام القرآن (٥/٢٩١).

كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ». فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ»[1].

مما مضى نخلص إلى عدة نقاط هامة، منها:

١) ضرورة العودة إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل، ومنها: ﴿... **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[2].

٢) عرض الشبهة على العلماء كما هي دون تمويه أو تشويه ليستطيع العالم دفعها.

٣) خطر سوء الظن على الأمة وبيان أنه من عظائم الذنوب.

٤) بيان فضل سيدنا عثمان ﷺ ودرجته عند الله ورسوله ﷺ.

٥) في غالب الأمور يكون المظنون فيه عكس ما ظُنَّ به.

٦) ضرورة محاربة الإشاعات، وقتل قالات السوء، فنذكر الخير لينتشر ولا نذكر السوء ليندثر.

٧) **وأخيراً**: بيان فضل العلم والعلماء وضرورة السفر والترحال لطلب العلم على أيدي العلماء الثقات.

---

(١) صحيح البخارى (١٣٥٢/٣) رقم (٣٤٩٥).

(٢) سورة النحل الآية: (٤٣).

وبهذا الكلام الطيب يشتاق المحبون إلى وصف الدواء للتخلص من هذا الداء بكل حب وصفاء وصراحة ونقاء.

عـــــــلاج ســـــــوء الظـــن:

لعلاك سوء الظن لا بد من: (ترجيح جانب الخير على جانب الشر)[1]. وهو حسن الظن.

لأن "الظن خواطر تقع في القلب ربما لا يستطيع الإنسان دفعها فيجب عليه أن يضعفها بظن الخير، فإن لم يستطع فعليه أن يتذكر عيوبه، وخفايا ذنوبه، لينشغل بها عن عيوب الناس. فإن لم يستطع أن يدفع الظن السيئ بذلك فعليه أن لا يتكلم به، أو يبحث عن حقيقته، وبهذا يسلم المسلم من الإثم"[2]. ولذلك ورد الظن في القرآن بعدة معان، منها: اليقين، والشك، والتهمة، والحسبان[3]؛ لذلك كان الظن في كثيرٍ من الأمور مذمومٌ، ولهذا قال تعالي: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾[4]. ولكي نبتعد عن سوء الظن لا بد من معرفة أقسام الظن وأحكامه، وهي لا تخرج عن أمورٍ خمسةٍ:

الأول: الظن المحرم، وهو سوء الظن بالله تعالى. ويقابله حسن الظن بالله.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (١٥٩٧/٥).

(٢) وحيد عبدالسلام بالي: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ١٧٣.

(٣) لمعرفة الأدلة على ذلك ينظر: موسوعة نضرة النعيم (١٥٩٧/٥).

(٤) سورة يونس الآية: (٣٦).

الثاني: حرمة سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، والمطلوب حسن الظن بهم.

الثالث: الظن المباح، وهو الذي يَعْرِضُ في قلب المسلم في أخيه بسبب ما يوجب الريبة، وهذا الظن لا يُحَقَّقُ.

الرابع: الظن المندوب إليه، وهو حسن الظن بالأخ المسلم وعليه الثواب[1].

الخامس: الظن المأمور به، وهو الظن فيما لم يَنُصَّ عليه دليل يوصلنا إلى العلم، وقد تعبدنا الله بالاقتصار على الغالب الظني فيه، كقبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات، وغيرها[2].

كذلك لا بد من التماس المعاذير، وألاَّ نضع أنفسنا موضع التهم، وهذا حدث هذا لا بد من ذكر الداعي لذلك وخصوصاً في المواقف التي قد تحتمل عدة وجوه كما فعل النبي ﷺ في موقفه مع زوجته عندما زارته في المسجد.

أخي الحبيب: هل وصلت إلى قناعة تجعلك على حسن ظن بالمسلمين؟ أم ما زلت مصمماً على رأيك وسوء ظنك؟ إذا كانت الثانية –وأنا أربأ بك أن تكون كذلك – ففيما يأتي ما يقطع عليك الطريق ويجعلك تكذب ظنك وتحسِّن أخلاقك حتى وإن رأيت بأم رأسك ما يقوي ظنك. ففي الصحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: "رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ

(١) وهو موضع العلاج لسوء الظن والشاهد.

(٢) الجصاص: أحكام القرآن (٥/٢٨٨)؛ وموسوعة نضرة النعيم (٥/١٥٩٨).

أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلاَّ وَاللَّهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ. فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِى"[1].

وقد تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله فظنه المسيح سرقة وهذا تكلف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح عليه السلام أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذباً، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له بالله ﷻ وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله كاذباً[2].

أخي: لا بد وأن تحمل جلَّ الأمور على حسن الظن، وكأن ابن حجر – رحمه الله – يفند لنا هذه القضية من خلال هذا الحديث فلندع له المجال ليصلح لنا الأحوال ويتضح حسن التأويل وجميل الخصال. قال: "....ويحتمل أن يكون رآه مد يده إلى الشيء فظن أنه تناوله فلما حلف له رجع عن ظنه ... ويحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق ...

أو ما أذن له صاحبه في أخذه ... أو أخذه لقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء ... قال: ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد إستفهامه بقوله سرقت؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائغ

(١) البخاري (١٢٧١/٣) برقم (٣٢٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٣٨/٤) رقم (٢٣٦٨).

(٢) ابن القيم: إغاثة اللهفان (١١٥/١).

كثير"[1]. ولم يتركنا ابن حجر – وغيره – بين كل هذه الاحتمالات بل رجَّح ما رجحه لنا ابن القيم – رحمه الله – وهو ما مر بنا ردف الحديث.

فاستشعر – أخي الحبيب – هذه المعاني وتيقن أن ظن السوء لا يأتي بخير بل يجر إلى غيره من عظائم الأمور التي توقع في النهاية في "الحالقة" بينك وبين إخوانك، فإن تركتَ نفسك لأهوائها تظن بمن شاءت، دريتَ أم لم تدرِ، فلا تلومنَّ – يوم القيامة – إلا نفسك.

واعلم أن من أهم فوائد حسن الظن:

١) طريق موصلة للجنة.

٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣) يولد الألفة بين المسلمين.

٤) يهيئ المجتمع الصالح المتماسك ويحقق التعاون بين أفراده.

٥) برهان على سلامة القلب وطهارة النفس.

٦) علامةٌ على حسن الخاتمة.

٧) لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته.

٨) يحافظ على أعراض المسلمين[2].

واعلم أن من أهم مضار سوء الظن:

١) يؤدي إلى غضب الله وسخطه.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/٤٨٩-٤٩٠) بتصرف يسير.

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٥/١٦٠٨).

٢) دليل على فساد النية وسوء الطوية.

٣) خلق من أخلاق المنافقين.

٤) يولد الشحناء والبغضاء بين المسلمين.

٥) مفتاحٌ للعواقب الوخيمة، والأعمال السيئة.

٦) دليل ضعف الإيمان.

٧) دليل على عدم الثقة بالنفس[١].

* * *

(١) موسوعة نضرة النعيم (١٠/٤٦٧٢).

المبـحث الـرابـع: الغضـب: مظـاهـره، والتحـذير منه، وعـلاجـه.

والغـضب نقـيض الرضـا، وهـو شـيءٌ يـداخل القلـوب ومنـه محمـودٌ ومذمومٌ، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق[1].

من مظـــاهر الغضـــب وعـــلامـــاته الظـــاهـــرة والباطـنـة:

ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن: كتغير اللون، والرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن غير ترتيب، واستحالة الخلقة، حتى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته، واستحالة خلقته هذا كله في الظاهر.

وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر لأنه: يولد الحقد في القلب، والحسد، وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل أولى شيء يقبح منه باطنه، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، وهذا كله أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان: فانطلاقه بالشتم، والفحش الذي يستحي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب.

ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل: بالضرب، أو القتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه، رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه، ويلطم خده، وربما سقط صريعاً، وربما أغمى عليه، وربما كسر الآنية، وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه

(١) موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٠٧٦) بتصرف.

الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: "لا تغضب" من الحكمة، واستجلاب المصلحة في درء المفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته[1].

وإذا أردت أن تبتعد عن غضب الله ﷻ فأسمع ما ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما- أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال: "لا تغضب"[2]. قلتُ: "سبحان الله إن الجزاء من جنس العمل"!! عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"[3].

وفيه دليل على أن مجاهدة النفس في صرفها عن هواها أشد محاولة وأصعب مراماً وأفضل من مجاهدة العدو، والله أعلم لأن النبي ﷺ قد جعل للذي يملك نفسه عند الغضب من القوة والشدة ما ليس للذي يغلب الناس ويصرعهم[4].

وأهم أسباب الغضب: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة، والمضادةُ (العناد) والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ومن أشد البواعث عليه عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجوليَّةً

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٥٢١ ـ ٥٢٢) بتصرف يسير.

(٢) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه، إلا أنه قال ما يمنعني. انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣) برقم (٢٧٤٧).

(٣) البخاري (٥/٢٢٦٧) رقم (٥٧٦٣)، ومسلم (٤/٢٠١٤) رقم (٢٦٠٩)، وغيرهم.

(٤) ابن عبد البر: الاستذكار (٨/٢٨٧).

وعزة نفسٍ وَكِبَرَ همةٍ، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوةً وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه[1].

التحـــــذيـــر مـــن الغضـــب فـــي القـــــــــرآن[2]:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3]. وقال: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4]. وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[5]. لذلك مدح الله المؤمنين الصادقين الذين يكظمون الغيظ عند الغضب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[6]. ويقول: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[7].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٠٧٧ـ٥٠٧٨).

(٢) قال بعض المحققين: الغضب فوران دم القلب، أو عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات وللانتقام بعد وقوعها. المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/١٣٨).

(٣) سورة النساء الآية: (٩٣).

(٤) سورة الأنفال الآية: (١٦).

(٥) سورة الممتحنة الآية: (١٣).

(٦) سورة الشورى الآية: (٣٧).

(٧) سورة آل عمران الآية: (١٣٤).

قوله: "والكاظمين الغيظ"، يعني: والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه. يقال منه: "كظم فلان غيظه"، إذا تجرَّعه، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه، باستمكانها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها. وأصل ذلك من"كظم القربة"، يقال منه: "كظمتُ القربة"، إذا ملأتها ماء. و"فلان كظيمٌ ومكظومٌ"، إذا كان ممتلئًا غمًّا وحزنًا. ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1]. يعني: ممتلئ من الحزن. ومنه قيل: "أخذت بكَظَمِه" يعني: بمجاري نفسه. و"الغيظ" مصدر من قول القائل: "غاظني فلان فهو يغيظني غيظًا"، وذلك إذا أحفظه وأغضبهُ. وأما قوله: "والعافين عن الناس"، فإنه يعني: والصافحين عن الناس عقوبَةَ ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم.

وأما قوله: "والله يحب المحسنين"، فإنه يعني: فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعدَّ للعاملين بها الجنة التي عرضُها السموات والأرض، والعاملون بها هم"المحسنون"، وإحسانهم، هو عملهم بها. عن قتادة، قوله: "الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"، قوم أنفقوا في العسر واليسر، والجهد والرخاء، فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل، ولا قوة إلا بالله. فنِعْمت والله يا ابن آدم، الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ، وأنت مظلومٌ.

(١) سورة يوسف الآية: (٨٤).

عن الحسن قال: يقال يوم القيامة: ليقم من كان له على الله أجر. فما يقوم إلا إنسان عفا، ثم قرأ هذه الآية: "والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"(١). عن يونس بن عبيد: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي لا يعملون غضبهم في الناس، بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله ﷻ، ثم قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا من مقامات الإحسان، وفي الحديث: ﴿ ما نَقَصَ مال من صدقة - أو ما نقصتْ صدقة من مال - وما زاد اللهُ عبداً بعفْو إلا عزّاً، وما تواضَعَ عبد لِلهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ العفو عن الناس أجل ضروب فعل الخير حيث يجوز للإنسان أن يعفو وحيث يتجه حقه وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه، واختلف في معنى: ﴿عَنِ النَّاسِ﴾ فقال أبو العالية والكلبي والزجاج: ﴿الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ يريد عن المالك، قال ابن عطية: وهذا حسن على جهة المثال إذ هم الخدمة فهم يذنبون كثيراً والقدرة عليهم متيسرة، وإنفاذ العقوبة سهل، فلذلك مثل هذا المفسر به، وروي عن ميمون بن مهران، أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية:

---

(١) تفسير الطبري (٣/٤٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

يا مولاي، استعمل قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال ميمون: قد أحسنتُ إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى. وروي عن الأحنف بن قيس مثله. وقال زيد بن سلم: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عن ظلمهم وإساءتهم. وهذا عام، وهو ظاهر الآية.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي يثيبهم على إحسانهم. قال سري السقطي: الإحسان أن تحسن وقت الإمكان، فليس كل وقت يمكنك الإحسان؛ وختم لنا القرطبي[1] – رحمه الله – كلامه الرائع بقول الشاعر:

ليس في كل ساعة وأوان تتهيأ صنائع الإحسان

وإذا أمكنت فبادر إليها حذراً من تعذر الإمكان

قال الغزالي: "كظم الغيظ مرتبةٌ عاليةٌ، ولكن المرتبة الأعلى هي العفو عند المقدرة، وتلك درجة الإحسان"[2].

التحـــــذيـــر مـــن الغضـــب فـــي الســـــــنة:

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ: أَوْصِنِي قَالَ: لَا تَغْضَب، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَب". (مراراً) كرر طلبه للوصية مرات.

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٤/٢٠٢).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٢/٧٤) نقلاً عن المحاور الخمسة (١٩٣).

فهذا الحديث من جوامع الكلم، ولك أن تعلم - أيها الحبيب- أن أجر الصابر والمتحكم في نفسه عظيم لقوله ﷺ: "لا تغضب ولك الجنة"[1].

وقال بن عبد البر: هذا من الكلام القليل الألفاظ الجامع للمعاني الكثيرة والفوائد الجليلة، ومن كظم غيظه ورد غضبه أخزى شيطانه وسلمت مروءته ودينه، ولقد أحسن القائل: لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب ...

وقال الباجي: جمع له ﷺ الخير في لفظ واحد، لأن الغضب يفسد كثيراً من الدين والدنيا لما يصدر عنه من قول وفعل، قال: ومعنى "لا تغضب"، لا تمض ما يحملك غضبك عليه، وكف عنه، وأما نفس الغضب فلا يملك الإنسان دفعه، وإنما يدفع ما يدعوه إليه، قال: وإنما أراد ﷺ منعه من الغضب في معاني دنياه ومعاملته، وإما فيما يعود إلى القيام بالحق، فالغضب فيه قد يكون واجباً كالغضب على أهل الباطل والإنكار عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوباً وهو الغضب على المخطئ كما غضب رسول الله ﷺ لما سأله رجل عن ضالة الإبل، ولما شكا إليه معاذ أنه يطول في الصلاة[2].

ونقل ابن صلاح، عن بن أبي زيد أنه قال: جماع آداب الخير وأزمته يتفرع على أربعة أحاديث:

١) "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ".

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٣٧٤ في صحيح الجامع.

(٢) السيوطي: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/٢١٢).

٢) وحديث الشيخين: "لا يُـؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتّـى يُحِـبَّ لأخيـهِ مـا يُحِـبُّ لِنَفْسِهِ".

٣) وحديث الشيخين أيضاً: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُـلُ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".

٤) وحديث البخاري: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ: أَوْصِنِي قَالَ: لَا تَغْضَب، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَب"[1].

فعلاً إذا كنت ناصحاً فإن أفضل ما يقدم للإخوان، وما يهدي للخلان، وما يقر به الجنان، ويُدحر به الشيطان، ويرضى به الرحمن، وصية النبي العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: "لا تغضب". وزاد أحمد وبن حبان في رواية عن رجل لم يسم قال: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

قال بن بطال: إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو، لأنه ﷺ جعل الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة، وقال بن التين: جمع ﷺ في قوله "لا تغضب" خير الدنيا والآخرة، لأن الغضب يؤول إلى التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين.

وقال البيضاوي: لعله لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته، ومن غضبه، وكانت شهوة السائل مكسورة، فلما سأل عما يحترز به عن القبائح نهاه عن الغضب الذي هو أعظم ضرراً من غيره وأنه إذا

(١) شرح سنن ابن ماجه (١/٢٨٦).

ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر أقوى أعدائه انتهى. ويحتمل أن يكون من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى لأن أعدى عدو للشخص شيطانه ونفسه، والغضب إنما ينشأ عنهما، فمن جاهدهما حتى يغلبهما مع ما في ذلك من شدة المعالجة كان لقهر نفسه عن الشهوة أيضاً أقوى. وقال بن حبان بعد أن أخرجه: أراد لا تعمل بعد الغضب شيئاً مما نهيت عنه لا أنه نهاه عن شيء جبل عليه ولا حيلة له في دفعه.

وقال بعض العلماء: خلق الله الغضب من النار، وجعله غريزة في الإنسان، فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت، حتى يحمر الوجه والعينان من الدم، لأن البشرة تحكى لون ما وراءها، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه.

وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب، فيصفر اللون حزناً، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر[1]. قال ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ - دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ »[2].[3].

(١) ابن حجر: فتح الباري (١٠/٥٢٠).

(٢) أبو داود ٤/٢٤٨ والترمذي ٤/٦٥٦ وابن ماجه ٢/١٤٠٠، وانظر صحيح الترمذي ٢/٣٠٥ وصحيح ابن ماجه ٢/٤٠٧.

(٣) ينظر هذا بالتفصيل عند: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، (آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة)، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ط ٤ لسنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ١١٠ وما بعدها.

"من كظم غيظاً"، أي اجترع غضباً كامناً فيه، قال في "النهاية": كظم الغيظ تجرعه، واحتمال سببه والصبر عليه" انتهى.

"وهو قادر أن ينفذه" بتشديد الفاء أي يمضيه "دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق" أي شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به، ويقال في حقه: هذا الذي صدرتْ منه هذه الخصلة العظيمة "حتى يخيره" أي يجعله مخيراً "في أي الحور شاء" أي في أخذ أيهن شاء، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة. قال الطيبي: وإنما حمد الكظم لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، ومن نهى النفس عن هواه فإن الجنة مأواه والحور العين جزاه.

قال القارىء: وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ، فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه[1].

روى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحي بن طلحة القرشي عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه وليعط من حرمه ويصل من قطعه﴾ ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أورده ابن مردويه من حديث على وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة بنحو ذلك[2].

(١) المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/١٤٠).

(٢) قلتُ: ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٢/٧٠) رقم (١٤٦٤)، وضعيف الترغيب والترهيب (١٤٦٤).

قال الإمام القرطبي في تفسيره: "والغيظ أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان لكن فُرقان ما بينهما، أن الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل ما ولا بد؛ ولهذا جاء إسناد الغضب إلى الله تعالى إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم. وقد فسر بعض الناس الغيظ بالغضب؛ وليس بجيد. والله أعلم"(١).

ولقد وضح لنا النبي ﷺ فضل كظم الغيظ في أحاديث كثيرة، منها: عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ"(٢). وعن أنس قال: "أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يصطرعون فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله ﷺ هذا فلان الصريع ما يصارع أحدًا إلاَّ صرعه. فقال رسول الله ﷺ: ألا أدلكم على من هو أشد منه: رجل ظلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه"(٣).

من هنا لا بد وأن يتصف المسلم بالحلم وذلك بـ "ضبط النفس؛ وترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك؛ وبذلك تكون عنده رزانة في البدن يقتضيها وفور العقل"(٤).

---

(١) تفسير القرطبي (٤/٢٠٧).

(٢) ابن ماجة (٤١٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٢/١٤٠١) رقم (٤١٨٩).

(٣) رواه البزار بسند حسن (٧٢٧٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٢٩٥).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٥/١٧٣٦) بتصرف كبير.

وعـــــلاج الغضـــــب بـــالأدويـــــة المشـــــروعـــة يكـــون بطريقتـــين:

الطريق الأول: الوقاية، ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناب أسبابه والابتعاد عنها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يطهر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتيه، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل، أو ما شابه ذلك[1].

الطريق الثاني: العلاج إذا وقع الغضب وينحصر العلاج في عدة أنواع من أهمها:

النوع الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[2].

النوع الثاني: أن يذكر الله ﷻ فيدعوه ذلك إلى الخوف منه ويبعثه الخوف منه على الطاعة له فعند ذلك يزول الغضب، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾[3]. قال عكرمة: يعني إذا غضبت[4].

النوع الثالث: الوضوء[5].

---

(١) ينظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية لصبحي محمصاني ص ٢٢٧.

(٢) ينظر: سورة الأعراف الآية: ٢٠٠، وسورة المؤمنون الآية: ٩٧، وسورة فصلت الآية: ٣٦، والبخاري مع الفتح ٥١٨/١٠، ومسلم ٢٠١٥/٤.

(٣) سورة الكهف الآية: (٢٤).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٥٠٧٨/١١).

(٥) ينظر: سنن أبي داود ٢٤٩/٤، وتهذيب السنن ١٦٥/٧- ١٦٨، وعون المعبود ١٤١/١٣، وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز عليه رحمة الله إسناده جيد.

النـــوع الرابـــع: تغـــيير الحالـــة الـــتي عليهـــا الغـــضبان، بـــالجلوس، أو الاضطجاع، أو الخروج، أو الإمساك عن الكلام، أو غير ذلك[1].

النوع الخامس: استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل قال ﷺ: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ - دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ"[2].[3].

النوع السادس: أن يخوف نفسه بعقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قُدْرَةُ الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيتُ غضبي، لم آمن أن يُمضي الله ﷻ غضبه عليَّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

النوع السابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب وأنه يشبه حينئذٍ الكلب الضاري والسبع العادي وأنه أبعد ما يكون مجانبة لأخلاق الأنبياء والعلماء الفضلاء في أخلاقهم.

---

(١) دليل ذلك ما أخرجه أحمد في المسند ١٥٢/٥، وأبو داود ٢٤٩/٤، وابن حبان برقم ٤٨٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رجال أحمد رجال الصحيح ٧٠/٨، وانظر شرح السنة للبغوي ١٦٢/١٣، فقد حسنه الشيخ الأرناؤوط.

(٢) أبو داود ٢٤٨/٤، والترمذي ٦٥٦/٤، وابن ماجه ١٤٠٠/٢، وانظر صحيح الترمذي ٣٠٥/٢، وصحيح ابن ماجه ٤٠٧/٢. نقلاً عن: (آفات اللسان).

(٣) ينظر هذا بالتفصيل عند: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، (آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة) ص ١١٠ وما بعدها.

النوع الثامن: أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده هو فكيف يكون مراد نفسه أولى من مراد الله تعالى.

النوع التاسع: أن يتذكر ما يئول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام.

النوع العاشر: أن يتذكر أن القلوب تنحرف عنه وتحذر القرب منه فيبتعد الخلق عنه فيبقى وحيداً فريداً، فإن ذلك جديرٌ بأن يصرف الغضب عنه[1].

أقـــــوال الســـــلف فـي الغضـــب:

قال الإمام أحمد: "حسن الخلق: أن لا تغضب ولا تحقد". وعنه أنه قال: "حسن الخلق: أن تحتمل ما يكون من الناس"[2].

قال الحسن البصري - رحمة الله عليه - : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ألا ليقم من وجب أجره على الله؟ فلا يقوم إلا من عفا وأصلح"[3].

قال صاحب "فيض القدير": عليك بطول الصمت، إلا في خير كتلاوة، وعلم، وإنذار مشرف على هلاك، وإصلاح بين الناس، ونصيحة، وغير ذلك، فإنه مطردة للشيطان، وليمنعك عن التكلم في أعراض الناس والوقيعة فيهم ما تعلم من نفسك من العيوب، فقلما تخلو أنت من عيب يماثله، أو أقبح منه وأنت تشعر، أو لا تشعر، ولا تجد عليهم فيما يأتون، أي ولا

(١) من النوع السادس إلى العاشر نقلاً عن: موسوعة نضرة النعيم (٥٠٧٨/١١).

(٢) المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٢١/٦).

(٣) مجموع الفتاوي ابن تيمية (٣٦٤/٢٨).

تغضب عليهم فيما يفعلونه معك، يقال: وجد عليه موجدة، غضب، وكفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال:

١) أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، أي يعرف من عيوبهم ما يجهله من نفسه.

٢) ويستحي مما هو فيه، أي ويستحي منهم أن يُذَكِّروهُ مما هو فيه من النقائص مع إصراره عليها وعدم إقلاعه عنها.

٣) ويؤذي جليسه بقول أو فعل.

قيل لابن المبارك: أجمع لنا حسن الخلق في كلمة؟ قال: ترك الغضب[(١)]؟! وقال أحد السلف: "إياك وعزة الغضب فإنها تُفضي إلى ذل الاعتذار"[(٢)]. وما أحسن قول مورق العجلي - رحمه الله - ما امتلأت غضباً قط، ولا تكلمت في غضبٍ قط بما أندم عليه إذا رضيت؟

وغضب يوماً عمر بن عبدالعزيز فقال له ابنه عبدالملك - رحمهما الله - : أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟! فقال له: أو ما تغضب يا عبدالملك؟ فقال له عبدالملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر؟! فهؤلاء قوم ملكوا أنفسهم عند الغضب - رضي الله عنهم- [(٣)].

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٤٥).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٠٩٦).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/١٤٦).

وقيل في الحكم: "من كظم غيظه فقد حلم، من حلم فقد صبر، ومن صبر فقد ظفر، من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار: حين يغضب، وحين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهي[1]. لذلك قال الحسن: أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب، فهذه الأربع التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشر كله.

فإن الرغبة في الشيء هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبة في شيء حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يظنه موصلاً إليه، وقد يكون كثير منها محرماً، وقد يكون ذلك الشيء المرغوب فيه محرماً. والرهبة هي الخوف من الشيء، وإذا خاف الإنسان من شيء تسبب في دفعه عنه بكل طريق يظنه دافعاً له، وقد يكون كثير منها محرماً.

والشهوة هي ميل النفس إلى ما يلائمها وتلتذ به، وقد تميل كثيراً إلى ما هو محرم، كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وإلى الكفر، والسحر، والنفاق، والبدع. والغضب هو غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة، كالقتل، والضرب، وأنواع الظلم، والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف، والسب، والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر، كما جرى لجبلة بن الأيهم، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها

(١) الأبشهي: المستطرف (١/٦٠).

شرعاً، وكطلاق الزوجة الذي يعقب الندم. والواجب على المؤمن أن تكون شهوته مقصورة على طلب ما أباحه الله له، وربما تناولها بنية صالحة فأثيب عليها، وأن يكون غضبه دفعاً للأذى في الدين له أو لغيره، وانتقاماً ممن عصى الله ورسوله[1]. وكان من دعائه ﷺ: "وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ". وهذا عزيز جداً، وهو أن الإنسان لا يقول سوى الحق سواء غضب أو رضي، فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول[2].

وقيل: من غاظك بقبيح الشتم منه، فغظه بحسن الحلم عنه[3]. وقال ميمون بن مهران، جاء رجل إلى سلمان فقال: يا أبا عبدالله أوصني؟ قال: لا تغضب. قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك؟ قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك. قال عمر بن عبدالعزيز: قد أفلح من عصم عن الهوى، والغضب، والطمع. وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب.

وقال ابن مسعود ﷺ: كفى بالمرء إثماً أن يقال له: "اتق الله فيغضب"، ويقول عليك نفسك. وكتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى عامل من عماله: أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه، فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطاً.

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٨).

(٣) المستطرف (١/ ٦١).

وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلاً.

وقال للأول: إذا **اشتد غضبي** فقم إليَّ بهذه الصحيفة وناولنيها.

وقال للثاني: إذا **سكن بعض غضبي** فناولنيها.

وقال للثالث: إذا **ذهب غضبي** فناولنيها.

وكان في **الأولى**: "اقصر فما أنت وهذا الغضب، إنك لست بإله، إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً"؟!

وفي **الثانية**: "ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء"؟!

وفي **الثالثة**: "احمل عباد الله على كتاب الله فإنه لا يصلحهم إلا ذاك"؟!

وقد قيل: ليست الأحلام في حال الرضا، إنما الأحلام في حال الغضب. فالواجب على العاق إذا غضب واحتدَّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته، ثم يحلم ولا يخرجه غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي؛ ولذلك قال محمد بن السعدي لابنه عروة لما ولي اليمن: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك، ثم عظِّمْ خالقهما[1].

وقال ابن السماك: أذنب غلام لامرأةٍ من قريش، فأخذت السوط ومضت خلفه حتى إذا قاربته رمت بالسوط وقالت: ما تركت التقوى أحداً يشفي غيظه؟! وقال أبو ذر لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ قال: أردت أن أغيظك!! قال: لأجمعن مع الغيظ أجراً؟ أنت حر لوجه الله

(١) موسوعة نضرة النعيم (٥/١٧٣٦).

تعالى[1]. وفي رواية أخرى: "أن الغلام كسر رجل الشاة، فقال له: من كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك، فتضربني، فتأثم. فقال: لأغيظنَّ من حرضك على غيظي، فأعتقه[2].

قال محمد بن كعب: "ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يُدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه عن احلق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له[3]. قلتُ: وهذا هو الضابط والمؤشر القوي على حسن النية، وصدق الطوية، وإخلاص العبادة لرب البرية.

أخي: إياك وأن تسمح لنفسك بالغضب فهو جمرة متقدة في الجوف، وإياك أن تسمح لمن يريد لك ذلك فلو سمعتَ له سيرديك المخاطر والمهالك، وكن كوهب بن منبه إذ جاءه رجل فقال له: إن فلاناً شتمك، فقال: أما وجد الشيطان بريداً غيرك[4]. قال العرجي:

وإذا غضبت فكن وقوراً كاظماً للغيظ تبصر ما تقول وتسمع

فكفى به شرفاً تصبر ساعة يرضى بها عنك الإله وترفع

قال الماوردي: "الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد".

---

(١) المستطرف (١/٤١٥ ، ٤١٦).

(٢) ابن قدامة: مختصر منهاج القاصدين ١٨٣.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/١٧٦).

(٤) مختصر منهاج القاصدين ١٨٤.

وأســـــــــباب الحـــــــلم عشـــــــرٌ ، وهـــــي :

١) الرحمة للجهال.

٢) القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة.

٣) الترفع عن الأسباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

٤) الاستهانة بالمسئ. وذلك عن ضرب من الكبر ومن مستحسنه ما ورد أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى: أين عمرو بن جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزبير بن العوام ﷺ فقيل له: إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أو يظن الجاهل أني أُقِيدُهُ بأبي عبدالله؟!! فليظهر آمناً ليأخذ عطاءه مُوَفَّراً.

٥) الاستحياء من جزاء العقاب، والباعث عليه صيانة النفس وكمال المروءة.

٦) التفضل على السباب، ويبعث عليه الكرم وحب التألف.

٧) استنكاف السباب وقطع سببه، والباعث عليه الحزم، وقد قال الشعبي – رحمه الله – : ما أدركت أمي فأبرها، ولكن لا أسب أحداً فيسبها، ولذلك قيل: في إعراضك صون أعراضك.

٨) الخوف من العقوبة على الواجب.

٩) الرعايةُ ليدٍ سالفةٍ وحرمةٍ لازمةٍ، والباعث عليها الوفاء وحسن العهد.

١٠) المكر وتوقع الفرص الخفية، ويبعث عليها الدهاءُ، وقد قال بعض الأدباء: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم، وبعضها أفضل من بعض، وإذا كان بعض أسبابه مفضولاً؛ فإن ذلك لا يقتضي أن نتيجة من الحلم مذمومةٌ، وإنما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه، وإن كان الحلم كله فضلاً، وإن عَرِيَ الحلم عن أحد هذه الأسباب كان ذلاً ولم يكن حلماً، ولذلك قال الشاعر:

مَنْ يَدَّعِي الْحِلْمَ أَغْضِبْهُ لِتَعْرِفَهُ لَا يُعْرَفُ الْحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ

وقال عروة بن الزبير في العفو:

لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا صفح ذل ولكن صفح إكرام

ولمحمود الورّاق:

إنِّي شكرتُ لظالمي ظُلمي وغفرتُ ذاك له علَى علمي

ورأيتهُ أسدى إليَّ يداً لّما أبانَ بجهله حلمي

ما زال يظلمني وأنصفُه حتَّى بكيتُ له من الظُّلمِ[1]

أخي الكريم: إنه قد يُخَيَّلُ إليك أن هذه الحلول وتلكم المقترحات خيالية بعض الشئ ولكنني عندما أعرضها عليك أعلم أنك ممن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأنك ممن التزم بالقرآن والسنة بفهم سلف الأمة، ومن كان كذلك فسيسهل عليه جداً أن يمتثل لأمره تعالي ولهديه ﷺ، ولطريقة سلفه الصالح؛ ولما لا؟ وهم خير القرون وأفضلها، فلا

(١) ابن داود الأصبهاني: الزهرة، موقع الوراق **http://www.alwarraq.com**.

تستصعب هذه الحلول وليسعك ما وسعهم فلا بد لك من تحقيق العبودية بكل معانيها، ولك أن تعلم أن التحاب في الله تعالي والأخوة في دينه من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، فتصبح تلكم المعاملات من العبادات بصالح النيات.

أخي: قبل أن أختم معك هذا المبحث أهمس في أذنيك وأقول لك تذكر دائماً قوله ﷺ: "لا تغضب"، إن أردتَ أن تنجو من الحالقة، لأنها لا تحلق الشعر ولكن "تحلق الدين". **وتذكر دائماً أن للغضب مضار عظيمة من أهمها:**

١) يغضب الرحمن ويرضي الشيطان الرجيم.

٢) الصبر عليه أشد وأصعب من مجاهدة العدو.

٣) يؤول إلى التقاطع وإفساد ذات البين.

٤) يتولد منه الحقد والحسد وهذا نقصٌ في العقل والدين.

٥) كثيراً ما يعقبه الاعتذار والندم، وقد يكون بعد فوات الأوان.

٦) يجعل صاحبه لا يستفيد من الموعظة والعبرة.

٧) قد يؤثر على البدن حتى يُعمي البصر ويصم الآذان، ويخرس اللسان، ويعجز الإنسان، بل قد يموت الإنسان، وتزهق نفسه بالكلية.

٨) نفرة الخلق عنه وخوفهم من القرب منه[1].

***

(١) هذه النقاط الثمانية نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٥٠٩٧/١١).

المبـحث الخـامـس: بـــذاءة اللســان: أنواعهـا، وعـلاجـها.

من أسباب الحالقة: بذاءة اللسان: كالسب، والشتم، واللعن، والسخرية وغيرها:

البذاءة هي خروج الشيء عن طريقة الإحماد، واصطلاحاً: هي التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة[1].

قال الغزالي: "إن السب والفحش وبذاءة اللسان مذمومة ومنهي عنها ومصدرها الخبث واللوم، والباعث عليها إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم لأن عادتهم السب. ومواضع ذلك متعددة ويمكن حصرها في كل حالٍ تخفى ويستحيا منها، فأما التصريح في مثل هذه الحال فحشٌ وينبغي الكناية عنها[2]. ومن بواعث اللعن والسب أيضاً: "التشفي، وهو نابع من الكره الذي يحمله الساب للمسبوب، ولشدة كارهيته يصفه بأقبح الصفات وأشنعها، أو يلعنه إما جاهلاً أو عارفاً بمدلوله، ويقصد بذلك إيذائه[3]. لا بد وأن تعلم - هدانا الله وإياك - أن بذاءة اللسان وعدم انتقاء الكلمات الطيبة في معاملة الآخرين يؤدي بدورة إلي إفساد العلاقات الأخوية، مما يتسبب إلي تبادل السب والشتم والسخرية، وكل هذا منهيٌ عنه، معروفٌ خطره، قال الله تعالى: ﴿**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ**

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٤٠٤٧/٩) بتصرف.

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٤٠٤٨/٩) بتصرف.

(٣) ا.د/ خالد الحازمي: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة ص ٣٦.

ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. قال ابن كثير - رحمه الله - :﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ يعني كلام الناس[2]. وقال سبحانه :﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾[3]. أي : ولا يحب الله الفحش في القول ولا الإيذاء باللسان، إلا المظلوم فإنه يباح له أن يجهر بالدعاء على ظالمه، وأن يذكره بما فيه من السوء. قال ابن عباس - رضي الله عنهما- : (المعنى لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً)[4]. إن من أعظم أسباب "**الحالقة**" عدم التزام الآداب الشرعية في الحديث، فقد ترك لنا النبي ﷺ منهجًا رائعًا راقيًا يبني علاقاتنا ويزكي نفوسنا، ويهذب مشاعرنا ويصفي علاقاتنا، من ذلك اختيار أطايب الكلام في محادثة الإخوان، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾[5] لذلك وجب على المتحابين أن ينتقوا أطايب الكلام كما ينتقون أطايب الطعام، وقدْ قال النبي ﷺ: "الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ"[6].

---

(١) سورة النساء الآية : (١١٤).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ١/٤٣٧.

(٣) سورة النساء الآية : (١٤٨).

(٤) صفوة التفاسير للصابوني ١/٣١٤.

(٥) سورة الإسراء الآية : (٥٣).

(٦) رواه البخاري (٥/٢٢٤١) رقم (٢٨٢٧) وقد أورده البخاري موصولاً في كتاب الصلح وفي كتاب الجهاد، قال ابن بطال: وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذي يُعطاه ويُذهب ما في قلبه، وكذلك الكلام الطيب فاشتبها من هذه الحيثية. فتح الباري - ابن حجر(١٠/٤٤٩)، عمدة القاري (٢٢/١١٣)، فيض القدير (٧/١٧).

وانظر إلي هذه الأخلاق العالية، فعن سفيان قال: إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف بمن آكل طعامهم؟!! قال فيض بن إسحاق، قال الفضيل: والله ما يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حق، فكيف تؤذي مسلماً[1].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: "البلاء مُوكل بالقول، لو سخرت من كلب؛ لخشيت أن أحوَّل كلباً"[2]. وعن الشافعي قال: "بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد"[3]. قال عبدالله بن حسن لابنه: "إياك وعداوة الرجال، فإنك لا تأمن مكر حليم، أو مبادأة لئيم"[4]. قال سبحانه وتعالى موجهًا إلى خفض الصوت مع الإخوان: ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[5].

لذلك يجب عليك – أخي الكريم – أن تتكلم بالكلمة التي تسمع أخيك، أما أ، تتطاول بالكلام وترفع صوتك فأنت تقطع علاقاتك من حيث تشعر أو لا تشعر. لذلك قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا"[6]. لم يكن فاحشًا يعني لم يكن قبيحًا في قوله أو فعله، ولا متفحشًا ولا يتعمد ذلك، سجية فيه الكلام الطيب، ولكن بعض الناس

(١) مختصر تاريخ دمشق (٦/٢٨٦).

(٢) وحيد عبدالسلام بالي: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ١٧٤.

(٣) تفسير القرطبي (١٦/٤١).

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق (٢٧/٣٨٠).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٨/٤٢٧).

(٦) البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٢١).

عيـاذاً بـالله حتـى ولـو لم يكـن مثـاراً ولم يكـن في حالـة غـضب ينثـر القـيءَ والصديد يمينًا وشمالاً لم يتعود على الكلام المهذب، ديدنه - أعوذ بالله - رفـع الـصوت والـسباب والـشتم والاحتقـار والـسخرية، فيـزرع العـداوات ويقضي على العلاقات. عن أبي موسى الأشعري قال: قلتُ يـا رسـول الله، أي المسلمين أفـضل؟ قـال: "مَـنْ سَـلِمَ الْمُـسْلِمُونَ مِـنْ لِسَانِهِ وَيَـدِهِ"(١). ومما يؤسف له أن يقع التقاطع بين الأخوة بسبب النصيحة وقصد الخير، وكـم مـن مريدٍ للخير لا يبلغه، وذلك بـأن يقـوم بنـصح أخيـه علـى ملأٍ مـن النـاس، أو علـى مـرأى ومـسمع مـنهم، وهـو لا يعـرف أن للأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر شروطاً منها: الأمر بالمعروف بمعـروف، والنهـي عـن المنكـر بغـير منكـر. وجهله بهذه القاعدة فـضلاً عـن سـابقتها وهـي نـصح الأخ أمـام النـاس يـؤدي إلـي بـذاءة اللـسان منهمـا، أو مـن أحـدهما ممـا يـؤدي بـدوره إلـي "الحالقـة": واسمع رسالة أخ أرسلها لأخيه قال فيها:

تَعَمَّدني بِنُـصْحِكَ في انْفِـرَادِي وجنِّني النـصيحةَ في الجماعـة

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعه(٢)

وعـن أبـي هريـرة ﷺ أنـه قـال: سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: "إِنَّ الْعَبْـدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَـدَ مِمَّـا بَـيْنَ الْمَـشْرِقِ"(٣).

---

(١) البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٢) وتكملة البيتين: وَإِنْ خَالَفْتنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ❖❖ فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَـمْ تُعْـطَ طَاعَـه. ينظر: ديـوان الإمـام الـشافعي (ص٦٣).

(٣) البخاري ١٨٤/٧، ومسلم ٢٢٩٠/٤، وانظر اللؤلؤ والمرجان ٣٢٥/٣ ولفظه عند مسلم ينزل بها في النار.

وعـن أبـي هريـرة ﷺ أيـضاً قـال: قـال رسـول الله ﷺ: "مَـنْ كَـانَ يُـؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْـآخِرِ فَلَـا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"(١).

والله سبحانه وتعالى نهى عـن السخرية بـالمؤمنين فقـال: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّـن نِّـسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِـزُوا أَنفُـسَكُمْ وَلا تَنَـابَزُوا بِالأَلْقَـابِ بِئْسَ الاسْـمُ الْفُـسُوقُ بَعْـدَ الإِيمَـانِ وَمَـن لَّـمْ يَتُـبْ فَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الظَّـالِمُونَ**﴾(٢).

السخرية: الاستهزاء، وحكي أبو زيد: سخرت به وضـحكت بـه وهـزأت بـه وقـال الأخفـش: سـخرت منـه وسـخرت بـه وضـحكت منـه وضـحكت بـه وهـزأت منـه وهـزأت بـه، كـل ذلـك يقـال، والاسـم السـخرية، والسـخري، وقـرئ بهمـا في: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْـضُهُم بَعْـضًا سُـخْرِيًّا﴾(٣). ومعنـى الآيـة: النهـي للمؤمنين عن أن يستهزئ بعضهم ببعض، وعلـل هـذا النهـي بقولـه: ﴿عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي أن يكون المسخور بهم عند الله خيراً من الساخرين بهم، ولما كان لفظ قوم مختصاً بالرجال لأنهم القوم على النساء، أفرد النساء بالذكر فقال: ﴿وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾ أي ولا يسخر نساء من نساء ﴿عَسَى أَن يَكُنَّ﴾ المسخور بهن ﴿خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ يعني خيراً من الساخرات منهن، وقيل أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ اللمز

(١) البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧).

(٢) سورة الحجرات الآية: (١١).

(٣) سورة الزخرف الآية: (٣٢).

العيب، قال ابن جرير: اللمز باليد، والعين، واللسان، والإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان، ومعنى ﴿لا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ لا يلمز بعضكم بعضاً، كما في قوله: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ وقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ قال مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير: لا يطعن بعضكم على بعض، وقال الضحاك: لا يلعن بعضكم بعضاً ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ التنابز: التفاعل، من النبز بالتسكين، وهو المصدر، والنبز بالتحريك اللقب، والجمع أنباز، والألقاب جمع لقب، وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان، والمراد هنا لقب السوء، والتنابز بالألقاب أن يلقب بعضهم بعضاً، قال الواحدي: قال المفسرون: هو أن يقول لأخيه المسلم: يا فاسق، يا منافق، أو يقول لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني، قال عطاء: هو كل شيء أخرجت به أخاك من الإسلام كقولك يا كلب، يا حمار، يا خنزير، قال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بكفره فيقال له: يا يهودي، يا نصراني، فنزلت، وبه قال قتادة، وأبو العالية، وعكرمة، وروي عن ابن عباس قال: (التنابز بالألقاب): أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله، ﴿بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ أي بئس الاسم الذي يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الإيمان، والاسم هنا بمعنى الذكر، قال ابن زيد: أي بئس أن يسمى الرجل كافراً، أو زانياً بعد إسلامه وتوبته، وقيل المعنى: أن من فعل ما نهي عنه من السخرية، واللمز، والنبذ، فهو فاسق، قال القرطبي: إنه يستثنى من هذا من غلب عليه الاستعمال كالأعرج، والأحدب، ولم يكن له

سبب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الأئمة واتفق على قوله أهل اللغة ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عما نهى الله عنه ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لارتكابهم ما نهى الله عنه، وامتناعهم من التوبة فظلموا من لقبوه، وظلمهم أنفسهم بما لزمهم من الإثم[1].

قال الإمام القرطبي: وبالجملة فينبغي ألا يجتريء أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رءاه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلباً ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله. ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع[2].

قال الشيخ/**وحيد عبدالسلام بالي** – حفظه الله – معلقاً على الآية الكريمة: "توجيهات إلهية لصلاح المجتمع المسلم، وتنقيته من شوائب الشحناء والبغضاء لو تمسك بها أفراده؛ لانتشر الحب بينهم وغمرت السعادة قلوبهم"[3]. ولا بد من معرفة أمر هام وهو أن: "السخرية تكون بالفعل أو بالإشارة وتكون بالقول"[4]، ويسبقها في العادة فعلٌ من أجله يُسخر

(١) فتح القدير (٥/٩١)، تفسير البغوي (١/٣٤٢)، الدر المنثور (٧/٥٦٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/٢٧٥)، موسوعة نضرة النعيم (١٠/٤٦١٢).

(٣) وحيد عبدالسلام بالي: وقاية الإنسان من الجن والشيطان ص ١٧٤.

(٤) موسوعة نضرة النعيم (١٠/٤٦٠٤).

بـصاحبه[1]. قـال الإمـام القـرطبي: "إن الله عـمّ بنهيـه المـؤمنين عـن أن يـسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر مـن مـؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك"[2].

إن احتقار المسلم والسخرية به من أعظم الذنوب عند الله، ولـذلك يقـول ﷺ: "بِحَسْبِ اِمْرِئٍ مِنْ اَلـشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ اَلْمُسْلِمَ"[3]. والـذي اعتقـده أشـد ضرراً من السب: الاستهزاء، وذلك لأن السب معروف أنه سب وأنـه يقـصد به الإيذاء، أما "الاستهزاء" فهـو كوضـع الـسم في العـسل لأنـه يكـون بـالطرف والهمـس والقـول والفعـل، ويـأتي في صـورة المـزاح الخفـي، أو الـسخرية واللعب، فترتب عليه أضراراً كثيرة منها:

١) أنه دليل على كبر النفس واحتقار الآخرين.

٢) بعد الناس عن المستهزئ لخوفهم منه وعدم سلامتهم منه.

٣) يصرف عن قبول الحق واستماع النصح.

٤) يسود بين الطغاة وسفلة القوم.

٥) دليل على أن صاحبه عميُّ القلب لا يرى ما فضل الله به غيره عليه.

٦) آية على جهالة صاحبه لأن من علم قدر الله لم يحتقر عباده.

٧) يشيع في الأمة الكراهية المقيتة[4].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (١٠/٤٦٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٢٩٨).

(٣) مسلم (٢٥٦٤).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٩/٣٨٨٣).

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخيهِ يا كافِرُ فَقَدْ باءَ بِها أَحَدَهُما"[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اَلْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى اَلْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ اَلْمَظْلُومُ"[2].

ومعنى الحديث أن المتشاتمين اللَّذَين يسب كل منهما الآخر يكون إثمهما على الذي ابتدأ بالشتم ما لم يعتد المظلوم الحد بأن سبه أكثر وأفحش منه أما إذا اعتدى كان إثم ما اعتدى عليه والباقي على البادي. والحاصل إذا سب كل واحد الآخر فإثم ما قالا على الذي بدأ بالسب وهذا إذا لم يعتدِ ويتجاوز المظلوم الحد والله أعلم[3].

(المستبان ما قالا) معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له[4]. و(المستبان) أي "المتشاتمان" وهما اللذان سب كل منهما الآخر، لكن الآخر أراد رد الآخر، أو قال شيئاً من معائبه الموجودة فيه، هو مبتدأ خبره جملة (ما قالا) أي: إثم قولهما (فعلى البادئ) أي على المبتدئ فقط، والفاء إما لكون ما شرطية، أو لأنها موصولة متضمنة للشرط، ثم البادئ بالهمز وإنما كان الإثم كله عليه لأنه كان سبباً لتلك المخاصمة (الحالقة).

---

(١) البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١/١٣.

(٢) صحيح: مسلم (٤/٢٠٠٠) رقم (٢٥٨٧)، أخرجه أبو داود (٢/٦٩٠) رقم (٤٨٩٤) بزيادة: فعلي البادي منهما. والترمذي (٤/٣٥٢) رقم (١٩٨١)، والمسند (٢/٢٣٥) رقم (٧٢٠٤)، والأدب المفرد (١/١٥٢) رقم (٤٢٣) وانظر حديث رقم: ٦٦٩٧ في صحيح الجامع.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٣/٢٣٧.

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٠).

وقيل إثم ما قالا للبادئ أكبر مما يحصل للمظلوم (ما لم يعتد المظلوم) فإن جاوز الحد بأن أكثر المظلوم شتم البادئ وإيذاءه، صار إثم المظلوم أكثر من إثم البادئ، وقيل إذا تجاوز فلا يكون الإثم على البادئ فقط، بل يكون الآخر آثماً أيضاً باعتدائه، وحاصل الخلاف يرجع إلى خلاف الاعتداء.

وفي شرح السنة: من أربى الربا من يسب سبتين بسبة، وفي رواية لأحمد والبخاري في الأدب عن عياض بن حماد: "الْمُسْتَبَّانُ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ". والتهاتر، التعالج في القول[1].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]. وفيه ثلاثة أقوال:

١) لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، وهذه أصحها وأشهرها.

٢) لا يكونون شهداء في الدنيا، أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم.

٣) لا يُرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله[3].

وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: "لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُون لَعَّانًا"[4]. ومعني (لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً) فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة لأن اللعنة في

(١) تحفة الأحوذي (٦/٩٨).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).

(٣) ا.د/ خالد بن حامد الحازمي: مساوئ الأخلاق ص ٣٨.

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٥) رقم (٢٥٧٩).

الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه(١). ولذلك لما: "دخلت أم الدرداء رضي الله عنها على جيران لها وهم يلعنون فقالت: كيف تكونون صديقين وأنتم لعانون"(٢).

أخي: هل تحب أن تكون يوم القيامة في زمرة الشهداء أم الأشقياء؟ إن أردت الأولى فلا تكن من اللعانين. وهل يسرك يوم القيامة أن تحرم من الشفاعة لأحب الناس عندك بسبب بذاءة اللسان؟

ومع هذا فالصبر والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾(٣).

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"(٤). قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (ومن الألفاظ المذمومة

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٤٨).

(٢) ابن أبي الدنيا: الصمت وآداب اللسان، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (ص٢٠٤) رقم (٣٧٥).

(٣) سورة الشورى الآية: (٤٣).

(٤) متفقٌ عَلَيْهِ: البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، (١١٦)، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١/ ١٣.

المستعملة في العادة قول الشخص لمن يخاصمه: يا حمار، يا تيس، يا كلب، ونحو ذلك فهذا قبيح من وجهين: أحدهما: أنه كذب. والآخر: أنه إيذاء [1].

وإذا كان السب والشتم منهي عنه حتى للحيوان أو الطير والبهائم فعن زيد بن خالد قال: قال رسول الله ﷺ: "لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ"[2]، فكيف بسب المؤمن وشتمه والسخرية به؟ إن من أخلاق المؤمنين أن يكونوا كما أمر الله ورسوله، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنِ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّان، وَلَا الْفَاحِش، وَلَا الْبَذِيء"[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِى لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا"[4].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "لَا تَلْعَنْ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ"[5].

---

(١) الأذكار للنووي ٣١٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٢٧/٤، وانظر صحيح الجامع ١٦١/٦.

(٣) الترمذي وحسنه ٣٥٠/٤. وانظر صحيح الترمذي ١٨٩/٨، وابن حبان (٤٢١/١) رقم (١٩٢)، وانظر حديث رقم: ٥٣٨١ في صحيح الجامع.

(٤) أبو داود ٢٧٧/٤. قال الشيخ الألباني: حسن، الصحيحة (١٢٦٩)، صحيح الجامع (١٦٧٢).

(٥) أبو داود ٢٧٨/٤، والترمذي ٣٥١/٤ وهو حديث صحيح كما قال الشيخ عبد القادر في تعليقه على الأذكار للنووي ص ٣٠٢، وانظر صحيح الترمذي ١٨٩/٢ وتحفة الأحوذي ١١٢/٦.

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمعها رسول الله ﷺ فقال: "خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ"، قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ"[١].

وعن أبي برزة ﷺ قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت النبي ﷺ وتضايق بهم الجبل، فقالت: حل اللهم العنها، فقال النبي ﷺ: "لَا تُصَاحِبْنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنْ اللَّهِ"[٢]. قال ابن رجب تضمنت النصوص أن المسلم لا يحل له إيصال الأذى إليه بوجهٍ من الوجوه من قول أو فعل بغير حقٍّ[٣].

﴿ العـــــلاج الجـــــزري ﴾

ولعلاج هذا الداء العضال لا نقول بأن هناك مراحل ودرجات نتدرج فيها ومن خلالها لكي نصل إلي العلاج النهائي، فهذا المرض لا ينفع معه إلا الحسم والبتر والاستئصال بسرعة، لأن اللسان إذا تعود علي شيء من الكلام أكثر منه فيضيع الإنسان بسبب كلمة ثم يندم عليها ويقول "لم أكن أقصد"، ولقد وجدتُ من خلال بحثي هذا أن العلاج يتمثل في السكوت والصمت مهما بلغت الأحوال، ومهما وجهت إليك السخرية أو السب أو اللعن أو

---

(١) مسلم ٤/٢٠٠٤، رقم (٢٥٩٥).

(٢) مسلم ٤/٢٠٠٥، رقم (٢٥٩٦).

(٣) موسوعة نضرة النعيم (٩/٣٨٢٧).

الـشتم، فقـدرك أكـبر مـن أن تـشغل نفـسك بهـذه الـسخافات، ولـو فتحـت لنفسك هذا الباب فلن يغلق أبداً.

قال ابن عمر- رضي اللّه عنهما- : «إنّ أبغض النّاس إلى اللّه كلّ طعّان لعّان»، قال عبد اللّه بن مسعود ﷺ: «ألأم شي ء في المؤمن الفحش»، قال الأحنف بن قيس- رحمه اللّه تعالى - : «ألا أخبركم بأدوإ الدّاء: اللّسان البذيء، والخلق الدّنيء». وعن سعيد بن عبدالعزيز قال: "رأى أبو الدرداء ﷺ امرأةً سليطة اللسان، فقال: لو كانت خرساء، كان خيراً لها. قال الشافعي:

وما شيء أحب إلى لئيم إذا شتم الكريم من الجواب
متاركةُ السفيهِ بلا جَوَابٍ أشَدُّ على السفيهِ من الجوابِ

وما أروع ما قاله النواجي في الصبر على الإيذاء:

يُخاطِبُني السفيهُ بكلِّ قبحٍ فأكرَهُ أن أكونَ له مجيباً
يزيدُ سفاهةً وأزيدُ حِلماً كعودٍ زادَهُ الإحراقُ طيباً

عن الحسن في قوله تعالى: ﴿**يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾[1]، قال: الهون في كلام العرب اللين والسكينة والوقار.

عن سفيان قال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال أسمى؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه[2].

(١) سورة الفرقان الآية: (٦٣).

(٢) الحلم (١/٢٣-٣٣).

وأحياناً يكون العلاج مُراً وصعباً وعلقماً، ولكن كلما زادت مرارته قويت نتيجته ونفعت وصفته، قال الطبيب أي (الشاعر):

لا تُرجعن إلى السفيه خطابه إلا جواب تحيةً حياكها

فمتى تحركه تحرك جيفة تزداد نتناً إن أردت حراكها

وورد عن الحسن بن الصباح قال، حدثت عن عبادة بن كلب قال، أتاني المؤمل الشاعر فقال: قد علمت أنك لا تروى لي شيئاً ولكن أسمع هذه الليلة الأبيات:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

لئيم القوم يشتمني ليحظى ولو دمه سفكت لما حظيت

فلستُ مشابهاً أبداً لئيماً خزيت لمن يشاتمه خزيت[1]

قال معاوية يا بني أمية قارعوا قريشاً بالحلم، فوالله إن كنتُ لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتماً وأوسعه حلماً، فأرجع وهو لي صديق أستنجده فينجدني، وأثيره فيثور معي، وما دفع الحلم عن شريف ولا زاده إلا كرماً[2]. قال أحدهم: شتمت فلاناً لرجل من أهل البصرة، فحلم عني، فاستعبدوني بها زماناً.

(١) الحلم (١/ ٣٤-٣٥).

(٢) الحلم (١/ ٣٧).

واسمع إلي حسن التأويل وجمال التفكير وعذوبة التعبير: قال عيينة بن حصن: ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم!! قيل: وكيف ذاك؟ قال: أسمع الكلمة فأكرهها فأحتملها كرامة أن أجيب فتعاد عليَّ[1].

وإن من نكد الدهر أن نفتقد الحلم، وهو من الأخلاق الإسلامية، ولك أن تعلم أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون رجلاً حتى يكون حليماً، وإن كان شجاعاً سخياً، فما أحوجنا إلي تلكم الأخلاق.

أنشد أبو عبد الله الأتيسي:

تحرز ما استطعت من السفيه بحلمك عنه إن الفضل فيه

فقد يعصي السفيه مؤدبيه ويبرم باللجاجة منصفيه[2]

ومن ثم قال الأعمش: جواب الأحمق السكوت، والتغافل يطفئ شراً كثيراً، ورضا المتجني غاية لا تدرك، والاستعطاف عون للظفر، ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه. وقال حكيم: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة، حليم من أحمق، وبر من فاجر، وشريف من دنيء[3]. قال الشهاب في شرح الشفاء: قال بعض الحكماء لا يحملنك سب الجهول لك وجرأة السفيه عليك على الإجابة عليه، بل حلم يفني صبرك خير من سفه يشفي صدرك[4]. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: البسْ أخاكَ على عيوبهِ واسترْ وغطِّ على ذنوبهْ

(١) الحلم (١/٣٨).

(٢) الحلم (١/٦٦).

(٣) فيض القدير (١/١٢١).

(٤) فيض القدير (٤/١٩٦).

واصْبِرْ على ظلمِ السفيهِ وللزمانِ على خُطوبهْ
ودّعِ الجوابَ تَفَضُّلاً وكلِ الظلومَ إلى حسيبهْ

ومما نسب إلي الشافعي، أو سالم بن ميمون الخواص:

إذا نطقَ السفيهُ فلا تجبْهُ فخيرٌ من إجابتِه السكوتُ
سكتُ عن السفيهِ فظنَّ أني عييت الجوابِ وما عييتُ
فإن كَلَّمْتهُ فَرَّجْتَ عنه وإن خليته كمداً يموتُ
شرارُ الناسِ لو كانوا جميعاً قذىً في جَوْفِ عيني ما قديتُ
فلستُ مجاوباً أبداً سَفيهاً خزيتُ لمن يجافيه خزيتُ

ومن أجمل ما قرأت في هذا الشأن ما قاله القروي:

إذا احتدمَ الجدالُ فكنْ رزيناً وأجملْ في المناقشةِ الخِطابا
فإن حملَ السفيهُ عليكَ فاجعلْ تمنيه الجوابَ له جَوابا
ولا تغضبْ فكمْ خَصْمٍ عنيدٍ خلقتُ الهدوءِ له اضطرابا
وهبكَ إذا غضبتَ على صوابٍ فقد ضيعتَ بالغضبِ الصوابا

وقال آخر:

إذا رأيت القبيحا فقل كلاماً مليحاً
وأغض واستر وسلم وكن حليماً صفوحاً
تعش هنيئاً وتلقى براً وشكراً صريحاً[1]

(١) المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٨م (٥/٥٦٢).

من خلال ما مضى تبين لنا أن من مضار "الأذى باللسان" :

١) أنه سبب في سخط اللّهﷻ على العبد.

٢) المؤذي يمقته اللّه، ويمقته النّاس.

٣) يعيش في المجتمع منبوذاً فريداً، يخاف النّاس أذاه، فيكرهون مخالطته ومصاحبته.

٤) إذا كثر المؤذون في المجتمع وسكت النّاس عنهم فسدت أحواله وآل إلى الزّوال.

٥) يسبّب العداوة والبغضاء بين المسلمين.

٦) دليل سوء الأخلاق وانحطاط النّفس وخبثها[١].

٧) في السّخرية مخالفة صريحة لأمر اللّه ﷻ ثمّ هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.

٨) السّخرية نذير شؤم للسّاخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الّذين كفروا باللّه وسخروا من نوح.

٩) السّخرية تفقد السّاخر الوقار وتسقط عنه المروءة.

١٠) السّخرية داء من أدواء الجاهليّة يجب تجنّبه والبعد عنه.

١١) على السّاخر أن يتوقّع عقوبته في الدّار العاجلة أيضاً بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه[٢].

* * *

(١) موسوعة نضرة النعيم (٣٨٢٧/٩).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٤٠٥٩/٩).

المبحث السادس: الوقوع في مفسدات الأخوة: صورها، وعلاجها.

أخي الكريم: لا بد وأن تعلم أنَّ: "الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوفيق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة"[1]. فكرم العشرة سبب دوام الإخوة، وهو عبارة جامعة لكل ما ينمي العلاقة بينك وبين أخيك، وهو بعينه "حسن الخلق"، ولقد استوقفني قول أحد الأعراب عندما سُئِلَ: من أكرم الناس عشرةً؟ فقال: مَنْ إنْ قَرُبَ منح، وإن بعد مدح، وإن ظُلم صفح، وإن ضُيق سمح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح[2]. أخي: إن أهم ما يجب أن ننبه عليه ونذكر به قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[3].

وأن وقوع "الحالقة" بيننا هي من كسبنا، وبسبب بعدنا عن منهج الله ﷻ، ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – عليه رحمة الله – : "فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء"[4]، لذلك ذكر ابن القيم في كتابه "**الجواب الكافي**" قال: "من آثار المعصية وحشة يجدها العاصي مع إخوانه"، إلى أن قال: "وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز: موسوعة الحقوق الإسلامية، المكتبة التوفيقية، ص ٣٦٣.

(٢) أبو عاصم بن عبدالقادر بن محمد آل عقدة: في رياض الإخوة – مفسدات الإخوة – دار الصفوة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ، ص ٢٤. ومنه استفدتُ فائدة كبيرة في هذا المبحث.

(٣) سورة الشورى الآية: (٣٠).

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٣/٢٢٧).

امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشاً من نفسه"، وقال بعض السلف: "إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي"[1].

وقال موسى الكاظم: "إذا تغير صاحبك عليك فاعلم أن ذلك من ذنب أحدثته، فتب إلى الله من كل ذنب يستقيم له وده". وقال المزني: "إذا وجدت من إخوانك جفاء فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنباً، وإذا وجدت منهم زيادة ود فذلك لطاعة أحدثتها فاشكر الله تعالى"[2].

فإذا أردتَ إخواناً يحبونك ويقدرونك ويحترمونك فعليك بإصلاح ما بينك وبين الله، وألزم أدب الشرع وحدوده، وتوقَّ عن المعاصي والذنوب[3]. لذلك تجد المنتكسين الذين بدأوا في مسلسل الضعف يتحاشون لقاء الإخوان، سبحان الله!! المعاصي قطعت العلائق؛ لأنه قطع الصلة بالله فانقطعت الصلة مع أحبته في الله، فسبحان الله العظيم.

وانظر وتفقد قلبك هل تشعر براحة وانشراح صدر حين تلقى إخوانك الجادين، أم تتوارى وتشعر بالحرج، راقب نفسك، حاسب نفسك.

وحتى لا نطيل فها هي أهم آفات الأخوة ومفسداتها لكي نتجنبها ولا نقع في "الحالقة"، لأن تجنبها يبعدك عن "الحالقة"، واقترافها أو شيءٍ منها يؤدي حسب قدره إلى وقوع "الحالقة":

---

(١) ابن القيم: الداء والدواء (ص٣٥).

(٢) المناوي: فيض القدير (٥/٤٣٧).

(٣) أبو عاصم في رياض الإخوة ص ٣٠ـ ٣١.

١. الإخلال بحقوق الأخوة وآدابها، مما يؤدي إلى فصم عرى الأخوة، وتضييع مقصودها. ومن صور الإخلال ما يلي:

- ترك النصح والنصيحة، وعدم التزام الآداب الشرعية في الحديث والمحادثة، مثل الحدة في الكلام وخشونته، وقد قال ﷺ: "أطيبوا الكلام"(١).
- ضعف الاحترام، وكثرة النقد والجدال والمعارضة.
- النصيحة في العلن.
- إخلاف المواعيد والاتفاقات دون عذر ضروري.
- كثرة تحديثك له بما يغمه ونقلك إليه ما يسوؤه.
- تصديق النمامين والحاسدين وإذاعة السر. وقد قال رسول الله ﷺ: "إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ"(٢). ومعنى التفاته أنه يقصد أن يكون ما دار بينكما سراً، وإفشاء السر داعٍ لتقويض بنيان الأخوة، والإتيان عليها من القواعد، ولا تحفظ المودة بمثل حفظ الأسرار، فحافظ على أسرار إخوانك يستدم لك ودهم، فإن أبيتَ فلست الملوم، إنما من وثق فيك.
- التدخل في خصوصيات الصديق وعدم الاكتراث بمشاكله وظروفه. فهو لا يريد أن يتكلم ويظهر من خلال حديثه أنه يبطن أمراً ما فيتخل الأخ مقسماً عليه أن يحكي له الأمر، فيفسد العلاقة الطيبة، وكذلك من المفسدات

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير (١٣٥/٣) رقم (٢٩١١)، وانظر حديث رقم (١٠٢١) في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة رقم (١٤٦٥).

(٢) حسن: سنن أبي داود رقم (٤٨٦٨)، والترمذي رقم (١٩٥٩) والسلسلة الصحيحة رقم (١٠٩٠).

أن تتجاهل برنامجه في حياته وحفظه لوقته وتقسيمه لأعماله وأوقات راحته فتفسد عليه ذلك، أو تفترض أنه لا برنامج له لمجرد أنك كذلك، أو تتصور أنه ليس عنده مشاغل ومتطلبات فتفرض عليه أوضاعاً تربكه وتتسبب في تراكم حاجاته وأعماله ومشاغله ومشاكله حتى يضيق بك ذرعاً، وتصبح غصةً في برنامجه حتى يندم على معرفتك وتولي محبتك في قلبه[1].

ومما رأيتُ ومنه عانيتُ أن يأتي أحد الأخوة – وقد يكون من طلبه العلم – في أثمن وأفضل أوقاتك ويقول لك: لقد وجدتُ نفسي غير مشغول – فارغاً- فقلتُ أذهب لفلان أحكي معه وأُضَيِّعُ بعض الوقت، فتختلط الأوقات وتضيع الواجبات ويتعكر الصفو وتبدو الحسرات.

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ إتيانَه فتَلِجَّ في هِجْرانِه
إنّ الصديقَ يَلِجّ في غِشْيانِه لصديقه فيُمَلُّ من غِشْيانه
حتّى تراه بعد طول مَسَرّةٍ بمكانه مُتَبرِّماً بمكانِه
وأقَلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلاً علىَ إخوانه ما كفّ عن إخوانه
وإذا توانَى عن صِيانة نفسه رجلٌ تُنُقص واستُخِفّ بشانه

الحرص على إظهار الذات، وتحقيق الوجاهة من خلاله. فلا تجعل أخاك دائماً في موضع المتلقي الآخذ أو المأمور المسخر أو التابع المستسلم، فتكثر توجيه الأوامر إليه والاعتراضات، مع السخرية بآرائه وتهكمك به[2].

(١) أبو عاصم: في رياض الإخوة ص ١١٢-١١.

(٢) أبو عاصم: في رياض الإخوة ص ٧٧.

٢. **طلب صفات الكمال في الخليل.**

٣. **الأثرة وحب النفس**، وتقديم حاجاتها مطلقاً على ضرورات الأخوة وحاجاتهم.

٤. **الإفراط في المعاتبة والنظر إلى السلبيات دون النظر إلى الإيجابيات، وترك الاعتذار والتسامح**، واسمع كلام رجاء بن حيوة حين قال: "من لم يؤاخ إلا من لا عيب فيه قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بالإخلاص دام سخطه، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه"[(١)]. ولذا قال الماوردي: "من حق الإخوان أن تغفر غفوتهم، وتستر زلتهم، لأن من رام بريئاً من الهفوات، سليماً من الزلات، رام أمراً معوزاً واقترح وصفاً معجزاً[(٢)].

وما أبلغ قول الكندي: "فنفس الإنسان التي هي أخص النفوس به ومدبرة باختياره وإرادته لا تعطيه قيادها في كل ما يريد ولا تجيبه إلى طاعته في كل ما يجب فكيف بنفس غيره، فحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره"[(٣)].

فتغافل عن هفوات أخيك طلباً لدوام الألفة، وهذا من الفطنة ووفور العقل ... قال بعض الحكماء: وَجَدْت أَكْثَرَ أُمُورِ الدُّنْيَا لَا تَجُوزُ إلَّا بِالتَّغَافُلِ. وقال رجل للإمام أحمد: العفية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل؛ فقال

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٤/٥٥٨).

(٢) أبو عاصم: في رياض الإخوة ص ٩٣.

(٣) أبو عاصم: في رياض الإخوة ص ٩٧.

الإمام أحمد: لا ... بل العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل!!؟ وقال شبيب بن شيبة: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل.

٥ . **تصيد الأخطاء**، فإن ذلك يوغر الصدر، وهو مناقض لمقصد النصيحة وحسن الظن.

٦ . **القدح بما ينقصه**، والتعيير بما ليس فيه، وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وقديماً قيل: من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتى يقع فيه.

٧ . **الطمع في الدنيا أو فيما عند الناس**.

٨ . **سوء الظن**، لأنه يدعو إلى التجسس المنهي عنه، ويدعو إلى قالة السوء في أخيك. ولا بد أن تدع سوء الظن وتتأول فعل أخيك على خير الوجوه كي لا تقع في سوء الظن، ومن ثم "الحالقة" ومن لطيف ما عرفتُ ما (حُكِيَ عَنْ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ أَنَّهَا قَالَتْ لِزَوْجِهَا طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيَّ، وَكَانَ أَجْوَدَ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ: مَا رَأَيْت قَوْمًا أَلْأَمَ مِنْ إخْوَانِك، قَالَ مَهْ وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: أَرَاهُمْ إذَا أَيْسَرْت لَزِمُوك، وَإِذَا أَعْسَرْت تَرَكُوك. قَالَ: هَذَا وَاَللَّهِ مِنْ كَرَمِهِمْ، يَأْتُونَنَا فِي حَالِ الْقُوَّةِ بِنَا عَلَيْهِمْ، وَيَتْرُكُونَنَا فِي حَالِ الضَّعْفِ بِنَا عَنْهُمْ. فَانْظُرْ كَيْفَ تَأَوَّلَ بِكَرْمِهِ هَذَا التَّأْوِيلَ حَتَّى جَعَلَ قَبِيحَ فِعْلِهِمْ حَسَنًا، وَظَاهِرَ غَدْرِهِمْ وَفَاءً. وَهَذَا مَحْضُ الْكَرَمِ وَلُبَابُ الْفَضْلِ، وَبِمِثْلِ هَذَا يَلْزَمُ ذَوِي الْفَضْلِ أَنْ يَتَأَوَّلُوا الْهَفَوَاتِ مِنْ إخْوَانِهِمْ)[1].

(١) ابن أبي الدنيا: أدب الدنيا والدين ص ٢٢٢، ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ١٢٨.

انظر – بالله عليك – إلى كرم الأخلاق وحسن التأويل يقول: هذا والله من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقوقهم[١].

٩ . **كثرة المخالطة بحيث تقصد لذاتها لمجرد المؤانسة**، فتنصرف عن المقصود التي من أجله قامت الأخوة، ثم بعد ذلك حدث ولا حرج عن كثرة الزلات والعثرات وضياع الوقت بسبب كثرة المخالطة، وزد على ذلك، زوال الكلفة، ويتولد من التزين والبطالة الضيق عن العفو فيكثر العقاب والتأنيب واللوم والمحاسبة، وتضيق القلوب، وحينئذٍ اقرأ على الأخوة تحية الموتى، لأن الناظر الحقيقي للأخوة النافعة هي التي تذكر بالآخرة، وتعين على البر والتقوى فإن غاب هذا القصد حل مكانه التزين والبطالة.

١٠ . **ضعف الاحتكام إلى شرع الله** ﷻ، وإلى الضوابط الشرعية التي تحكم علاقات الناس.

١١. **التفريط في الطاعات والقربات**، والوقوع في المعاصي والمخالفات(٢) مما يجعلها تقوم على الإثم والعدوان، وهذا واضح في أن هذه الأخوة لم تقم على الشروط الأساسية التي لا تقوم الأخوة إلا بها، وقد قال ﷺ "وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا"[٣].

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز: صحيح وصايا الرسول ﷺ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص (١١٢/٢).

(٢) مرت هذه النقطة بالتفصيل في هذا الباب، المبحث الأول.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤٥/١) رقم (٤٠١)، وانظر حديث رقم (٥٦٠٣) في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة رقم (٦٧٣).

١٢ . **التحفظ والتكلف والإثقال على الصاحب**، ومراقبته في قيامه بحقوق الأخوة. وما أجمل كلام ابن القيم – رحمه الله - : "العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً ولذلك لا يعاقب ولا يطالب"[١]. وما أشد فطنة ابن عطاء وفقهه، وما أحسن ما قاله حين سمع رجلاً يقول: أنا في طلب صديق منذ ثلاثين سنة فلم أجده، فقال له ابن عطاء: لعلك في طلب صديق تأخذ منه شيئاً؟ ولو طلبتَ صديقاً تعطيه شيئاً لوجدتَ. فاطلب صديقاً لتفيض عليه وتمنحه كل حقوق الأخوة لا لتأخذ منه[٢].

١٣ . **برود العاطفة وضعف الحنين**، فتفتقد الأخوة وقودها الذي يخفف عن النفس القيام بحقوقها فإن المحبة الصادقة والعاطفة الجياشة تحمل الأخ على الدعاء لأخيه، والقيام بحقوقه والإحساس بقيمته وخطورة فقده، والعاطفة الصادقة هي التي تجعل المحب يشعر بفقد أخيه إذا غاب ويتألم لفراقه[٣]. قال ابن أبي الدنيا حدثني عبدالصمد بن يزيد عن فضيل بن عياض، قال بكى عليٌّ ابني ؛ فقلتُ يا بني ما يبكيك ؟ قال: أخاف ألاَّ تجمعنا القيامة[٤].

١٤. التفريط في إظهار المحبة أو ما يدل عليها وما يستجلبها ويزيدها، كإعلام المحبة والهدية والشكر والثناء بالدعاء وغيره، ومن لفتات السلف هنا

(١) ابن القيم: مدارج السالكين (١/٥٢٣).

(٢) أبو عاصم: في رياض الأخوة (ص١٤١).

(٣) أبو عاصم: في رياض الأخوة (ص٦٤).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٨/٤٤٤).

مـا قالـه اليزيـدي: رأيـتُ الخليـل بـن أحمـد قاعـداً علـى طِنْفِسةٍ فأوسـع لـي فكرهت التضييق عليه فقال: "إنه لا يضيق سم الخياط على متحابين ولا تسع الدنيا متباغضين"، وقال سليمان لابـن السماك: بلغـني عنـك شـيء، فقـال: لست أبالي، قال: ولم؟ قال: "إن كان حقاً غفرته، وإن كان بـاطلاً رددتـه"، وقال بعضهم: إنا إذا وثقنا بمحبة أخينا لا يضره ألاَّ يأتينا[1].

١٥. **إهمال الدفاع عنه في غيبته**، فإنَّ ذلك ترك لحق النصرة، وخذلان للأخ.

١٦. **الإفراط والغلـو في المحبـة**، "أَحِبَّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا"[2]. وكـان يقـال: لا يكـن حبّـك كلفـاً ولا بغـضك تلفـاً. أي لا تـسرف في حبـك وبغـضك. ولهـذا قـال الحسن البـصري: "أحبـوا هونـاً، وأبغـضوا هونـاً، فقـد أفرط قوم في حب قوم فهلكوا، وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا"[3].

١٧. **التلهي عنه بغـيره**، وقلـة الوفـاء، فمـن لم يقـم علـى مـودة الـصديق القديم لم يقم على مودة الصديق الجديد[4]. قال الشاعر:

أراك إذا قلت قولاً قبلته ... وليس لأقوالي لديك قبول

---

(١) أبو عاصم: في رياض الأخوة (ص١٥٢).

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان رقـم (٦٥٩٣)، وانظر حـديث رقـم (١٧٨) في صـحيح الجامع.

(٣) الأصفهاني: الأغاني (١٢/٣٦٩).

(٤) أبو عاصم: في رياض الأخوة (ص١٥٢).

وما ذاك إلا أن ظنك سيء بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسي تائهاً بنفسك عجباً وهو منك قليل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

١٨. كثرة الإفراط في المدح.

١٩. كذلك من مفسدات الأخوة: **النجوى**، كل هذه الأشياء بسيطة في ظاهرها لكنَّ لها معاني عميقة لمن يفكروا في بناء العلاقات الصحيحة المؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[1]. قال أهل العلم: إن الشيطان يوسوس له ويقول له: إنهم يتكلمون فيك، ويستهدفونك في كلامهم، فاشترط العلماء كما أشار ابن كثير إلى طلب الإذن قبل المناجاة إن كان هناك حاجة.

٢٠. كذلك من أهم الآداب التي نحتاجها في بناء علاقاتنا وتصفية علائقنا، **الإصغاء إلى المتحدث والإقبال إليه بالوجه في الكلام والسلام**؛ لذلك قال أحد السلف "إن الرجل ليحدثني بالحديث – يعني من حديث النبي ﷺ وربما بمسألة علمية – أعرفه قبل أن تلده أمه فيحملني حسن الأدب على الاستماع إليه حتى يفرغ".

قال الشاعر: وتراه يصغي للحديث بسمعه، وبقلبه ولعله أدرى به

يعني أدرى بفقه الحديث وسنده ومراميه، ومع ذلك يعطي أدباً في فن الاستماع؛ بينما بعض الناس بمجرد أن يسمع كلمة، تراه يقول أنا أفهم هذا،

(١) سورة المجادلة الآية: (١٠).

أنا مرَّ عليَّ هذا، كأنه يقول: أنت جاهل فقدرك أن تكون مستمعاً، سبحان الله العظيم!!

انظر إلى النبي ﷺ يجلس يستمع لمن؟ لأحد رؤوس الكفر عتبه بن ربيعة يتكلم ويتكلم حتى سكت، ولما سكت لم يتكلم النبي ﷺ إلا بعد هذه الجملة: "هل فرغت يا أبا الوليد ؟" تريد إكمال؟ تريد إستدراكاً؟ قال: لا. قال: "الآن اسمع"، أدب، - سبحان الله العظيم- ، يدعو إلى الكفر والباطل والزندقة، والنبي ﷺ يدعو إلى الحق بكتاب الله ومعجزة ظاهرة، ومع ذلك يعطيه درساً في أدب الاستماع.

فأين واقعنا الذي لا يخلو من المشاحنات والخلافات والبحث عن الزلات من واقع سلفنا الصالح – عليهم سحائب الرحمات – "هيا بنا نؤمن ساعة" وهيا بنا نبكِ من خشية الله، فإن لم نجد بكاءاً تباكينا علَّ الله أن يرحمنا؛ ولذلك تجد أن هذه الأخوة مشاعر موحدة وعلاقة ممتدة ..! ولو تأملت حق التأمل في معنى الأخوة والمحبة في الله تجد أنها علاقة ممتدة حتى الخلود...! قد تقول: كيف؟ فأقول لك: من المعلوم أن المسلم تمتد علاقته بإخونه عند الموت، فهو يودع الدنيا بإعلان التوحيد كما دخلها "لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ[1] لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ"[2]. وتمتد علاقته بإخوانه أيضاً بعد الموت، فيصلي المسلم على أخيه صلاة الجنازة، ولو كان بعيداً غائباً ولو لم يره في حياته، كما فعل النبي ﷺ

(١) أي: اذكروا وقولوا لمن حضره الموت؛ ليكون آخر كلامه: لا إله إلا الله.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَالْأَرْبَعَةُ.

عندما صلي على النجاشي وقال: "إِنَّ أَخًا لَكُمْ قَدْ مَاتَ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ"[1]. ورغم أن دفن الميت يكفي في القيام به نفر قليل، إلا أن إخوانه المسلمين لا يتركونه بعد موته يذهب وحيداً إلى أول منازل الآخرة بل يشيعونه إلى قبره كما يشيع الضيف العزيز الراحل، ولا تقف العلاقة إلى هذا الحد، بل تمتد حتى بعد البعث، وهناك في يوم القيامة تبرز المشاعر والعلاقات بين الناس فـ ﴿**الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[2]. والمرء مع من أحب، وتستمر مشاعر الأخوة وعلاقتها حتى بعد المستقر في الجنة ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾[3]. فما أجل هذه الأخوة وما أعظمها ... حقاً إنها مشاعر موحدة وعلاقة ممتدة[4].

أخي: إن التفريط في حقوق الأخوة أو في أحد جزئياتها يؤدي إلى فصم عراها، وتفريغ محتواها، وإذا حدث هذا التفريط استشرت "الحالقة" ووقعت وأصابت الجسد الإسلامي كله والحبيب ﷺ بين لنا أن: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى﴾[5]. ومعني (تداعى له سائر الجسد بالسهر

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ رقم (٩٥٣).

(٢) سورة الزخرف الآية: (٦٧).

(٣) سورة الحجر الآية: (٤٧).

(٤) انتهى بتصرف لـ/ سلمان بن يحي المالكي؛ خالد بن أحمد بابطين: http//www.ilammemo.cc/wpoll/default.asp.

(٥) رواه مسلم رقم (٢٥٨٦).

والحمى) أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك، ومنه قوله تداعت الحيطان أو قربت من التساقط.

قال العلاَّمة الألباني – رحمه الله - : "ولا يتحقق هذا المثل النبوي العظيم بمعناه الرائع الجميل، إلا بتعاون العلماء مع أفراد المجتمع تعليماً وتعلماً دعوةً وتطبيقاً، فيتعاون إذا من عرفوا فقه الشرع بأدلته وأحكامه مع من عرفوا فقه الواقع بصورته الصحيحة التطبيقية، لا النظرية فأولئك يمدون هؤلاء بما عندهم من علم وفقه، وهؤلاء يوقفون أولئك على ما تبين لهم ليحذروا ويحذروا، ومن هذا التعاون الصادق بين العلماء والدعاة على تنوع اختصاصاتهم يمكن تحقيق ما ينشده كل مسلم غيور"[1].

تذكر دائماً قوله ﷺ: "ولا تباغضوا"، فهذا تحذير مباشر منه ﷺ من البغضاء والشحناء لما يترتب على ذلك من مفاسد، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها، ويعكر صفوها، وتهييج البغضاء والأحقاد يفتت وحدة الأمة الإسلامية، ويوهن قوة الجماعة المسلمة، وقد يعصف بدين الإنسان!![2].

ألا ترنّ في أذنيك همسة النبي ﷺ: "ولكن أقول تحلق الدين"، فليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقرَّ لعينه من أن يعيش سليم القلب،

---

(١) الألباني: فقه الواقع، ص ٢٦.

(٢) سعد يوسف أبو عزيز: صحيح وصايا الرسول ﷺ (٢/٩٧).

مبرأ من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد. أخي: لا بد وأن تعلم أنه ﷺ قال: "مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ"[1].

قال أبو حاتم في روضة العقلاء: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام، فمن فعل ذلك كان مرتكبا لنهى النبي ﷺ وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة، ومن هجر أخاه سنة كان كسفك دمه، ومن مات وهو مهاجر أخاه دخل النار إن لم يتفضل الله عليه بعفو منه ورحمة، وغاية ما أبيح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام، ولقد أنشدني عبيد الله بن محمد الأنماطي، قال أنشدني محمد بن الحسن:

يا سيدي عندك لي مظلمة فاستفت فيها ابن أبي خيثمة
فإنه يرويه عن شيخه قال روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمة
إن صدود الخل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمه

وأنشدني محمد بن شاه الأبيوردي بالموصل:

ما ودني أحد إلا بذلت له صفو المودة منى آخر الأبد
ولا جفاني وإن كنت المحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا ائتمنت على سر فبحت به ولا مددت إلى غير الجميل يدي
ولا أخون خليلي في خليلته حتى أغيب في الأكفان واللحد[2]

---

(١) سنن أبي داود (٢/٦٩٦)، ومسند الإمام أحمد (٤/٢٢٠) رقم (١٧٩٦٤) وانظر حديث رقم (٦٥٨١) في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة رقم (٩٢٨).

(٢) ابن حبان: روضة العقلاء، ص ٢٠٧.

ولقد صنف فضيلة الدكتور/ **عمر بن عبدالعزيز قرشي**، كتاباً قيماً مفيداً في هذا الشأن وأسماه (طاعون العصر ... الفرقة بين المسلمين ... وعلاجها في الكتاب المبين)، أنصحك – أيها الحبيب – أن تقتنيه وتدرسه ففيه فوائد جمة، وجمع لشتات هذه الأمة، وكشف للفرقة والغمة. ومما ذكره وبين أنه من أسباب الفرقة بين المسلمين:

الشيطان، وأولياءه، وانتشار الفرق الضالة، والتنازع على السياسة والملك، والعصبية الجاهلية، والتعصب الأعمى، والجهل بطبيعة هذا الدين، والفهم الخاطئ في حياة المسلمين، وإتباع الهوى والإعجاب بالرأي والنفس.

أخي: لو حافظت على حقوق الأخوة، وابتعدت عمَّا يفسدها عشتَ بإذن الله ﷻ قرير العين والبال، بعيداً عن "الحالقة" في كل حال، سليم الصدر والخلال. أخي: إن الأسباب المؤدية إلي "الحالقة" كثيرة ومتشابكة ومتداخلة، وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، مؤثرة آثاراً مختلفة، قد يقوى أثرها في شخص ويضعف في شخص آخر، ولكنها جميعاً لها في النهاية أثرها الذي لا يجحد، وقد يُخَيَّلُ إليك أنها قليلة لأنني اقتصرت فيها علي مضى مع محاولة وصف العلاج لها؛ بل هي كثيرة جداً، وأضيف أن الحسد والحقد لا يقل أهمية عمَّا ذكرتُ، وأن هناك أسباباً أخري بعضها قريب وبعضها بعيد، بعضها مباشر وبعضها غير مباشر، بعضها ماثل للعين وبعضها كائن في الصدر، ومنها ما

هـو ديـني، ومنهـا مـا هـو سياسـي، ومنهـا مـا هـو اجتمـاعي ومنهـا مـا هـو اقتصادي، ومنها ما هو خليط من هذا كله أو بعضه[1].

وإنني قد اقتصرت علي ما مضى مراعاة للمقام، وحفاظاً على الوقت، وتكفي الإشارة لبقية الأمراض من خلال ذكر ما مضى، والذي يهمني الآن أن أبدأ في العلاج العام لما مضي وذكر ولما لم يذكر، لأنه ﷺ أخبر: "عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلاَّ السَّامَ يُرِيدُ الْمَوْتَ"[2].

وإنني أقول: لكي تزول "الحالقة" بلا رجعة فعليك بما هو آتٍ، لأن الحبيب المصطفى ﷺ كما مضى يبين لنا أنها "فيها شفاء من كل داء"، وكذلك العفو بالنسبة لكل الأمراض التي تسبب "**الحالقة**" شفاء، حيث أنه قاطع ومانع لانتشارها كالحبة السوداء في علاجها، ففيه بتر لكل داء، وقضاء تام على الشحناء، واستئصال للحقد والبغضاء، وراحة من الشقاء والعناء، وتبادلٌ للحب والصفاء.

فالحمد لله الذي جعل في شرعنا الخير والصلاح، والألفة والسماح، والراحة والرواح، والرحمة والعفو والانشراح.

* * *

(١) ينظر: د/ عمر بن عبدالعزيز قرشي: الفرقة بين المسلمين.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٥/٢١٥٣) رقم (٥٣٦٣)، وأخرجه مسلم (٤/١٧٣٥) رقم (٢٢١٥)، سنن ابن ماجة (٢/١١٤١) رقم (٣٤٤٨)، وجامع الترمذي (٤/٣٨٥) رقم (٢٠٤١)، انظر حديث رقم: (٤٠٨٣)، (٣١٦٨)، (٤٢٤٧) في صحيح الجامع، والصحيحة (٢/٥١٤) رقم (٨٥٩)، وغيرها.

الباب الثالث: علاج الحالقة، وفيه ثلاثة مباحث:

١. العفو وفضله.

٢. الرسائل ودورها.

٣. في الإصلاح بين الناس.

المبحـــث الأول: العـفـــو: فضلـــه، ودوره فـي الـعـــلاج الـجـــذري.

أخي الحبيب: والله لو جربت مرةً أن تتجرع كأس العفو ما اجترأت علي الانتقام، ولو نمتَ مرةً وأنت مهضوم الحق شاعر بالظلم لعرفت معني الوئام، ولو تركتَ شيئاً لله فإنه - سبحانه - لن يضيعك وسوف يبدلك خيراً منه، فكن لله كما يريد يوفقك لما تريد.

والعفو هو التجافي عن الذنب؛ وأصل العفو المحو والطمس، أو هو كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك "عَفْوٌ"(١).

قال تعالى: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢). وقال الله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾(٣). وقال تعالى: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾(٤). وقال تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾(٥)؟. وقال تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾(٦).(٧).

أخي الكريم: تجمل بالعفو لكي تصل إلى الصفح؛ "فالصفح أبلغ من العفو، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح، لأن الصفح إزالةُ أثر الذنب من

---

(١) ينظر ذلك بالتفصيل في: موسوعة نضرة النعيم (٧/٢٨٨٩- ٢٨٩٠) بتصرف كبير.

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٣٤).

(٣) سورة الأعراف الآية: (١٩٩).

(٤) سورة ا الحجر الآية: (٨٥).

(٥) سورة ا النور الآية: (٢٢).

(٦) سورة ا الشورى الآية: (٤٣).

(٧) هذه الآيات مرتبة بهذا السياق في: رياض الصالحين (١/٧٩١).

النفس، أو أن الصفح تجاوز عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن؛ أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذم فقط، ولا يقتضي حصول الثواب"(١).

وأنت لن تستطيع الوصول إلى سلم المجد الإيماني، والارتقاء بالمستوى الإحساني، إلا بتعلم العفو أولاً ثم الحصول والوصول إلى الصفح ثانياً.

العفـــــو فـــي حيـــــــاة النبـــــــي ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "تَعَافَوُا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِى مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ"(٢). ومعنى تعفوا: هو أمر بالمعروف وهو التجاوز عن الذنب(٣). قلتُ: انظر – يرحمك الله – كيف ندب النبي ﷺ إلى العفو في الحدود، فكيف بدقائق الأمور وصغائرها التي تقع بينك وبين أخيك وتجعلك لا تعفو ولا تصفح وتقع في الحالقة المهلكة؛ فمن باب أولى أن تعفو عنها. عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قال جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلاَمَ؟ فَصَمَتَ. فَلَمَّا كَانَ فِى الثَّالِثَةِ؟ قَالَ: "اعْفُوا عَنْهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً"(٤).

قلتُ: سبحان الله!! لو وضع كلٌ واحد منا هذا الهدي النبوي نصب عينيه لما انتقم أبداً، فها هو الرسول ﷺ بعد صمتٍ طويل يجيب الرجل بأن يعفو عفو كثير؛ وإذا كان هذا للخادم الذي قد يكون ملكك أو وقته، وغالباً

(١) ينظر ذلك بالتفصيل في: موسوعة نضرة النعيم (٦/٢٥٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٤٣٧٦) واللفظ له والنسائي (٤٨٨٥) وصححه الألباني (٢٩٥٤) في صحيح الجامع.

(٣) موسوعة نضرة النعيم (٧/٢٩٠٢) حاشية رقم ٧.

(٤) أبو داود رقم (٥١٦٤) واللفظ له، وصححه الألباني (٤٨٨) في السلسلة الصحيحة.

ما يعترى الخادم قلة العقل وسطحية التفكير فكيف بك يا من فضلك الله بما أنت فيه؟ عن أسامة بن زيد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**﴾ الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ[1].

قلتُ: كم نحن في أمس الحاجة إلى هذه الأخلاق العظيمة فرسولنا محمد ﷺ يعفو عن المشركين وأهل الكتاب فلما لا تعفو أنت – أيها الحبيب – عن أخيك المسلم؟ إن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد رأى من قومه أشد الأذى والشتم والضرب والسباب ورغم ذلك ما دعا عليهم بل لهم فكان كثيراً ما يقول: "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[2].

وكذلك كانت أخلاق الأنبياء فتذكر – أخي الكريم – أن أخوة سيدنا يوسف: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، فوقع في كيد النساء، وسجنٌ وبلاء، وغربةٌ وعناء، فرفع الله ذكره، وأعلى قدره، ورفع كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره، وجمع له أهله؟ قال: ﴿**قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[3]،

---

(١) البخاري، الفتح (١٠/٦٢٠٧) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٧/٢٩٠٣) حاشية رقم ٧.

(٢) البخاري، الفتح (١٢/٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٧/٢٩٠٦) حاشية رقم ٤.

(٣) سورة يوسف الآية: (٩٢).

رغم أنه كان في كمال القدرة على أن ينتقم منهم، ويعاقبهم، ولكنَّ الله ﷻ ربَّ أنبياءه ورسله على سمو الأخلاق وجميل الصفات.

أقـــــوال وأفعـــــال الســـــلف فـي العـفـــــو:

قال علي ﷺ: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. وقال: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه. وقال: إن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل.

وكان المأمون - رحمه الله تعالى - يحب العفو ويؤثره، ويقول: لقد حبب إليَّ العفو حتى أني أخاف أن لا أثاب عليه. وكان يقول: لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها. وقال: لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا إليَّ إلا بالجنايات. وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب ذنباً، فقال له: أنت الذي فعلت كذا وكذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا ذاك الذي أسرف على نفسه، واتكل على عفوك!! فعفا عنه وخلى سبيله. وقال المنتصر: لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم. وقال ابن المعتز: لا تشن وجه العفو بالتقريع به. وقيل: ما عفا عن الذنب من قرع به. وقال رجلٌ لرجلٍ سبه: إياك أعني؟ فقال له: وعنك أعرض؟

وكان الأحنف - رحمه الله تعالى - كثير العفو والحلم، وكان يقول: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفتُ له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه. ولعل هذا المعنى ما قصده محمود الوراق حين قال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن عظمت منه علي الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فاعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته نفسي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الحر بالفضل حاكم[1]

وكان – الأحنف - مشهوراً بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته، وكان يقول: وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال؟!وقيل له: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، كنا نختلف إليه في الحلم كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه، ولقد حضرت عنده يوماً وقد أتوه بأخٍ له قد قتل أبنه فجاؤا به مكتوفاً، فقال: ذعرتم أخي؟ أطلقوه واحملوا إلى أم ولدي ديته فإنها ليست من قومنا، ثم أنشأ يقول:

للنفس تصبيرٌ وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم ترد

خلف من فقد صاحبه أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقيل: من عادة الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر. وقالوا: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام.

وقيل: من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره. والعرب تقول: لا سؤدد مع الانتقام، والذي يجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته، وإن كان لا بد من الانتقام

(١) المستطرف (١/٤١٧، ٤١٨).

فليرفق في انتقامه إلا أن يكـون حداً مـن حـدود الله تعـالى. وسـعى إلى المنـصور برجل من ولد الأشتر النخعي، ذكر لـه عنـه أنـه يميـل إلى بـني علـي ويتعـصب لهم، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه، قـال: يـا أمـير المـؤمنين ذنـبي أعظـم من نقمتك، وعفوك أعظم من ذنبي، ثم قال:

مسيئاً كالذي قلت ظالماً فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل

لم أكن للعفو منك لسوء ما أتيت به أهلاً فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة!!

وأحـضر إلى الهـادي رجـل مـن أصـحاب عبـد الله بـن مالـك فوبخـه علـى ذنب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن إقراري يلـزمني ذنبـاً لم أفعلـه، ويلحـق بـي جرماً لم أقف عليه، وإنكاري ردٌ عليك ومعارضةٌ لك، ولكني أقول:

فإن كنت تبغي بالعقاب تشفياً فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

فقـال: لله درك مـن معتـذر بحـق أو باطـل، مـا أمـضى لـسانك وأثبـت جنانك!! وعفا عنه وخلَّى سبيله.

وكان معاوية ﷺ يعرف بالحلم، وله فيه أخبـار مـشهورة وآثـار مـذكورة، وكان يقول: إني لآنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمـي، وذنـب لا يـسعه عفـوي، وحاجـة لا يـسعها جـودي؛ وهـذه مـروءة عاليـة المرتبـة. وإنـك لتعجب كل العجـب مـن قمـة الحلـم وسـعة الـصدر ورفعـة الأخـلاق فيمـا هـو

آت: وقال لـه رجـل يومـاً: مـا أشـبه أسـتك بإسـت أمـك؟! فقـال: ذاك الـذي أعجب أبا سفيان منها!!![1]

وقال بعضهم: شتمت فلاناً من أهل البصرة، فحلم عليَّ فاستعبدني بهـا زماناً. قيل لمحمد بن علي بـن الحنفيـة: إن رجـلاً مـن قـريش يقـع فيـك؛ قـال: بحسبي من نعم الله ﷻ عليَّ أن نجَّى غيري مني، ولم ينجني من غـيري. ومـن أجمل ما قيل في العفو:

لما عفوت ولم أحقد على أحد — أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحيي عدوى عند رؤيته — لأدفع الشر عنى بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه — كأنه قد ملأ قلبي محبات[2]

وغضب الرشيد على حميد الطوسي، فدعا له بالنطع والسيف، فبكـى، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من المـوت لأنـه لا بـد منه، وإنما بكيت أسفاً على خروجي من الدنيا وأمـير المؤمنين سـاخط علـيَّ؟! فضحك وعفى عنه، وقال: إن الكريم إذا خادعته انخدع.

وأمر زياد بضرب عنق رجل، فقال: أيها الأمير إن لي بك حرمـة؟ قـال: وما هي؟ قال: إن أبي جارك بالبصرة. قال: ومن أبوك؟ قال: يا مـولاي إنـي نـسيت أسـم نفـسي، فكيـف لا أنـسى اسـم أبـي؟ فـرد زيـاد كمـه علـى فمـه

(١) ما مضى من الأقوال تُنظر عند الأبشيهي: المستطرف (من ص ٤٠٥ إلي ص ٤٠٩).

(٢) آداب الصحبة (١/٦٠).

وضحك وعفا عنه. وأمر الحجاج بقتل رجل، فقال: أسألك بالذي أنت غداً بين يديه أذل موقفاً مني بين يديك إلا عفوت عني؟ فعفا عنه.

ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الأشعث، أتى رجل من بني تميم فقال: والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما أحسنت في العفو؟ فقال الحجاج: أفٍ لهذه الجيف، أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا ؟ وعفا عنه وخلى سبيله. وكان إبراهيم بن المهدي يقول: والله ما عفا عني المأمون تقرباً إلى الله تعالى ولا صلة الرحم، ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد بقتلي[1]. وقال الفضيل بن عياض: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان[2]. ويقال: الحليم سليم، والسفيه كليم.

وقال محمد بن عجلان: ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: سكوته علي أشد من كلامه[3]. وشتم رجلٌ رجلاً فقال له يا هذا: لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعاً، فإني أبيت مشاتمة الرجال صغيراً فلن أجيئها كبيراً، وإني لا أكافئ من عصى الله فيَّ بأكثر من أن أطيع الله فيه!!

وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة، وكان قد أمر بضرب عنقه، قال: يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولها ؟ قال: قل. فأنشأ يقول:

زعموا بأن الصقر صادف مرة عصفور بر ساقه التقدير

---

(١) المستطرف (١/٤١٢، ٤١٣).

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين (٢/٣٤١)، المستطرف (١/٤١٣).

(٣) المستطرف (١/٤١٤).

فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقض عليه يطير

إني لمثلك لا أتمم لقمة ولئن شويت فإنني لحقير

فتهاون الصقر المدل بصيده كرماً وأفلت ذلك العصفور

قال: فعفا عنه وخلى سبيله. قلتُ: إن هذا الكلام ذكرني بقول الشاعر:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم عنه فإن جحود الذنب ذنبان

وقال بعضهم:

العفو للفتى إذا أعترف وتاب عما قد جناه واقترف

لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر:

إذا ذكرت أياديك التي سلفت مع قبح فعلي وذلاتي ومجترمي

أكاد أقتل نفسي ثم يدركني علمي بأنك مجبول على الكرم

ولا ينبغي عليك - أيها الكريم - أن تعفو فقط، بل ينبغي عليك أن تُجَّملُ العفو بنسيان الأذية، ونسيان المعروف الذي بذلته، قال ابن القيم: "وأما نسيان الأذية فهو بأن تنسى أذية من نالك بأذى ليصفو قلبك له، ولا تستوحش منه"، قلتُ: وهنا نسيان آخر أيضاً وهو من الفتوة، وهو نسيان إحسانك إلى من أحسنت إليه حتى كأنه لم يصدر منك، وهذا النسيان أكمل من الأول، وفيه قيل:

ينسى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا[1]

(١) مدارج السالكين (٢/٣٤٤).

ولـذلك قيـل: اثنـان لا تـذكرهما، واثنـان لا تنـساهما: إحـسانك إلى الناس، وإساءة الناس لك، وأما الاثنان التي يجب ألا تنساهما (الله، والدار الآخرة). وقال الأحنف بن قيس لابنه، يا بني: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك وإلا فاحذره، قال الشاعر:

إذا كنت مختصاً لنفسك صاحباً فمن قبل أن تلقاه بالود أغضبه

فإن كان في حال القطيعة منصفاً وإلا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب: أحلم تسد. لذلك لما قال رجل لأبي بكر الصديق ﷺ لأسبنك سباً يدخل معك قبرك؟ فقال معك والله يدخل، لا معي؟ وقال لقمان لابنه: يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة:

١) لا يعرف الحليم إلا عند الغضب.

٢) ولا الشجاع إلا عند الحرب.

٣) ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه.

ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل

وقال آخر: وإذا بغى باغٍ عليك بجهله فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال آخر: قل ما بدا لك من صدق ومن كذب حلمي أصـم وأذني غير صـماء[1]؟

(١) المستطرف (١/٤١٩).

وحكي أن رجلاً زوَّر ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار، ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل، فشرع في أن يزن له الألف دينار، وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل، فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل: أتدري لم أتيتك في هذا الوقت؟ قال: لا. قال: جئتُ لاستنهضكَ حتى تعجِّل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة. فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل، فقبضه وصار متحيراً في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له: طب نفساً وامض إلى سبيلك آمنا على نفسك. فقبَّل الرجلُ يده، وقال له: سترتني! سترك الله في الدنيا والآخرة، ثم أخذ المال ومضى.

فيجب على الإنسان أن يتأسى بهذه الأخلاق الجميلة، والأفعال الجليلة، ويقتفي سنة نبيه، فقد كان أكثر الناس حلماً، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم خلقاً، وأكثرهم تجاوزاً وصفحاً، وأبرهم للمعتر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

وما أجمل ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه كان ينشد هذه الأبيات ويترنم بها:

إن **المكارم أخلاق مطهرة** **فالعقل أولها والدين ثانيها**

(١) المستطرف (١/٤٢٢).

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف ساديها

والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها

والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها[1]

ويروى في بعض الأخبار أن ملكاً من الملوك أمر أن يصنع له طعام، وأحضر قوماً من خاصته، فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام، فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك، فأمر بضرب عنقه، فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك؟! فقال له: ويحك ما هذا؟ فقال: أيها الملك إنما صنعت هذا شحاً على عرضك لئلاَّ يقول الناس إذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني؛ قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده، فتنسب إلى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي، وترفع عنك الملامة؟

قال: فأطرق الملك ملياً ثم رفع رأسه إليه، وقال: يا قبيح الفعل، يا حسن الاعتذار، قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك، اذهب فأنت حرٌ لوجه الله تعالى[2].

---

(١) المستطرف (١/٣٨).

(٢) المستطرف (١/٤٢٠).

أخي: إن مما ينبغي عليه أن تعلمه أن الكمال لله وحده، وأن الإنسان قلما يخلو من العيوب، وأن العيوب تتفاوت، وأنك لست مبرئاً عنها، وأن اجتهادك في اختيار الأخ الصالح الذي يعينك علي التقوى ويساعدك علي السير في طريق الجنة مقبول منك، ولو نظرت في العيوب، وتتبعت العثرات فلن ترضي عن أحد حتى نفسك، فارضي بما قسمه الله لك من الأخوة، وبدلاً من أن تبحث عن العيوب حاول إصلاحها، أو العفو والنسيان.

قال ابن الحنفية: من أحب رجلاً لله أثابه الله ثواب من أحب رجلاً من أهل الجنة، وإن كان الذي أحبه من أهل النار، لأنه أحبه على خصلة حسنة رآها منه؛ ومن أبغض رجلاً لله أثابه الله ثواب من أبغض رجلاً من أهل النار، وإن كان الذي أبغضه من أهل الجنة لأنه أبغضه على خصلة سيئة رآها منه.

ولقد وقفت علي درر من القيم "ابن القيم" فيها النجابة، والعلم والإفادة، فضلاً عن الراحة والسعادة، وكان كلامه في معرض الحديث عن التواضع، وحقيقته، ودرجاته، والشاهد ما قاله في الدرجة الثالثة، وهو: أن ترضى بما رضي الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً، وأن لا ترد على عدوك حقاً، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

يقول: إذا كَانَ الله قد رضي أخاك المسلم لنفسه عبداً، أفلا ترضى أنت به أخاً؟ فعدم رضاك به أخاً وقد رضيه سيدك الذي أنت عبده عبداً لنفسه

عين الكبر، وأي قبيح أقبح من تكبر العبد على عبد مثله لا يرضى بأخوته وسيده راض بعبوديته؟!

فيجيء من هذا: أن المتكبر غير راضٍ بعبودية سيده، إذ عبوديته توجب رضاه بأخوة عبده، وهذا شأن عبيد الملوك فإنهم يرون بعضهم خشداشية بعض، ومن ترفع منهم عن ذلك: لم يكن من عبيد أستاذهم، قوله: وأن لا ترد على عدوك حقاً، أي لا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك، وإذا لم ترد عليه حقه فكيف تمنعه حقاً له قبلك، بل حقيقة التواضع أنه إذا جاءك قبلته منه وإذا كان له عليك حق أديته إليه، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه، ولا من إيتائه إياه.

وأما قبولك من المعتذر معاذيره فمعناه: أن من أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته حقاً كانت أو باطلاً وتكل سريرته إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه فقبل أعذارهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، وعلامة الكرم والتواضع: أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه، ولا تحاجه، وقل يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضى شيء لكان، والمقدور لا مدفع له ونحو ذلك[1].

(١) ابن القيم: مدارج السالكين (٢/٣٣٧).

أصـــــــحاب النبـــي ﷺ مـــن أعـظـــــم الناس ســـــلامـــةً للصـــــدُّور:

هكـذا هـم أصـحاب القلـوب الكـبيرة، الـتي لا تعـرف الغـلَّ أو الحقـدَ أو الحسدَ ... وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ، وهاك أمثلةٌ سريعة:

١. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبـو بكـر آخـذاً بطرف ثوبـه، حتـى أبـدى عـن ركبتيـه! فقـال النـبي ﷺ: (أمّـا صـاحبكم فقـد غامر!). فسلَّم، وقال: يا رسول الله! إني كان بيني وبين ابن الخطـاب شـيء! فأسرعتُ إليـه ثـم نـدمتُ! فسألته أنْ يغفـر لـي، فـأبى علـيَّ! فأقبلـتُ إليـك... فقال: (يغفر الله لك يا أبا بكر؛ ثلاثاً). ثم إنَّ عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبـو بكـر؟ فقـالوا: لا. فـأتى إلى الـنبي ﷺ، فجعـل وجـهُ الـنبي ﷺ يتمعّر! حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيـه! فقـال: (يـا رسـول الله! والله أنـا كنـت أظلـم)؛ مـرتين. فقـال الـنبي ﷺ: (إنَّ الله بعـثني إلـيكم، فقلـتم: كذبتَ! وقال أبو بكر: صدق ... وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تـاركوا لـي صاحبي)؛ مرتين ... فما أُوذي بعدها[1].

٢. عـن عائـذ بـن عمـرو المزنـي رضي الله عنه أنَّ أبـا سـفيان أتـى علـى سـلمان، وصـهيب، وبـلال، في نفـرٍ، فقـالوا: (مـا أخـذت سـيوف الله مـن عـدو الله مأخذها). فقال أبو بكر رضي الله عنه: (أتقولون هـذا لـشيخ قـريش وسـيدهم؟!). فـأتى النَّبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: (يا أبا بكـر! لعلـك أغـضبتهم؟ لـئن كنـت أغـضبتهم

(١) خرَّجه البخاري (٣٦٦١).

لقد أغضبت ربك!). فأتاهم فقال: (يا إخوتاه! آغضبتكم؟). قالوا: (لا، يغفر الله لك يا أُخَيّ). وهذا الحديث أصلٌ في مشروعية التسامح والتصافح.

٣. وقال ابن عباس بعد أن شتمه رجل: (إنك لتشتمني وفيَّ ثلاثُ خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله ﷻ فلوددتُ أنّ جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ... وإني لأسمع بالحاكم من حكّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، ولعلّي لا أُقاضي إليه أبدًا ... وإني لأسمع أنّ الغيثَ قد أصاب بلدًا من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي من سائمة!).

٤. وهذا أبو دجانة ﷺ: دخلوا عليه في مرضه ووجهه يتهلل! فقالوا له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: (ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلّم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليمًا).

٥. وهذا علي بن أبي طالب ﷺ: دخل عليه عمران بن طلحة بن عبيد الله بعد وقعة الجمل - وقد استشهد أبوه طلحة ﷺ؛ فرحّب به، ثم أدناه، ثم قال: (إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾[1].

فعليك - أيها الكريم - أن تقبل الميسور من أخلاق الناس، فإنّ العقل والحكمة والمعرفة بطبائع الأمور تقتضي تقبُّل الميسور من أخلاق الناس، والرضا بالظاهر من أحوالهم، وعدم التقصّي على سرائرهم أو تتبع

(١) سورة الحجر الآية: (٤٧).

دخائلهم، كما تقتضي قبول أعذارهم والغض عن هفواتهم، وحملهم على السلامة وحسن النية.

إذا وقعت هفوة أو حصلت زلة فليس من الأدب وليس من الخلق الحسن المسارعة إلى هتكها التعجل في كشفها فضلاً عن التحدث بها وإفشائها. بل لقد قيل: اجتهدوا في سترة العصاة فإنّ ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام.

وكيف يسوغ لمسلم أن يتشاغل بالبحث عن العيوب ورجم الناس بها، بل لعله قد يُخْفي ما يعلم من صالح القول والعمل. هل وظيفة المسلم أن يلوك أخطاء الناس ويتتبّع عثراتهم، ويعمى أن يرى حسناتهم وكأنه لا يعرف ولا يرى إلا كفة السيئات. أليس في عيوبه ما يشغله عن عيوب الناس؟!

لا تتوهـــم أنك بعفـــوك تكـــون ضعيـــفاً:

وكما "أن من توهم أنه بالعفو يسقط حقه أو ينقص غالط جاهل ضال، بل بالعفو يكون أجره أعظم، فكذلك من توهم أنه بالعفو يحصل له ذل ويحصل للظالم عز واستطالة عليه فهو غالط فى ذلك، كما ثبت فى الصحيح وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اَللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ"(١).

فبين الصادق المصدوق أن الله لا يزيد العبد بالعفو إلا عزاً، وأنه لا تنقص صدقة من مال، وأنه ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله، وهذا رد لما يظنه من

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رقم (٢٥٨٨).

يتبع الظن وما تهوى الأنفس من أن العفو يذله، والصدقة تنقص ماله، والتواضع يخفضه.

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله خادماً له ولا امرأة ولا دابة ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، ولا نيل منه قط شيء فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله، وخلق رسول الله القرآن أكمل الأخلاق، وقد كان من خلقه أنه لا ينتقم لنفسه، وإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله فيعفو عن حقه ويستوفى حق ربه"[١].

والناس في الباب أربعة أقسام:

١. منهم من ينتصر لنفسه ولربه: وهو الذي يكون فيه دين وغضب.

٢. ومنهم من لا ينتصر لا لنفسه ولا لربه: وهو الذي فيه جهل وضعف دين.

٣. ومنهم من ينتقم لنفسه لا لربه: وهم شر الأقسام.

٤. وأما الكامل: فهو الذي ينتصر لحق الله ويعفو عن حقه[٢].

والفرق بين العفو والذل: أن العفو إسقاط حقك جوداً وكرماً وإحساناً مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً وخوفاً ومهانة نفس، فهذا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رقم (٢٣٢٨).

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٣٠/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩).

مذموم غير محمود ولعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**﴾[1]. فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك حتى إذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء مالهم عليه ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح، فقال: ﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، **والفضل** وندب إليه، **والظلم** وحرمه؟ فإن قيل: فكيف مدحهم على الانتصار والعفو وهما متنافيان؟ قيل: لم يمدحهم على الاستيفاء والانتقام، وإنما مدحهم على الانتصار، وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم، فلما قدروا ندبهم إلى العفو؛ قال بعض السلف في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا، فمدحهم على عفو بعد قدرة، لا على عفو ذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال الذي مدح سبحانه به نفسه في قوله: ﴿كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، والمقصود أن العفو من أخلاق النفس المطمئنة، والذل من أخلاق الإمارة، ونكتة المسألة أن: الانتقام شيء، والانتصار شيء؛ فالانتصار: أن ينتصر لحق الله ومن أجله، ولا يقوى على ذلك إلا من تخلص من ذل حظه، ورق هواه، فإنه حينئذ ينال حظاً من العز الذي قسم الله

(١) سورة الشورى الآية: (٣٩).

(٢) سورة الشورى الآية: (٤٠).

المؤمنين، فإذا بغى عليه انتصر من الباغي من أجل عز الله الذي أعزه به غيرة على ذلك العز[1].

ودعني أسألك هنا - بالله عليك - هل يصعب عليك أن تنتصر لله ﷻ؟ قال الملك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[2]. وهل يصعب عليك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك؟ قال الملك: ﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[3]. قال الإمام الطبري: "يقول جل ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه[4]. قال الشوكاني: "وأبهم الأجر تعظيماً لشأنه وتنبيهاً على جلالته"[5]. لذا قال الربيع ابن خيثم: الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه، وجاهل فلا تجاهله! وقال عبد الله بن سهل سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: "ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه"[6]. قال عمر ﷺ: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

---

(١) ابن القيم: الروح (١/ ٢٤١ -٢٤٢).

(٢) سورة محمد الآية: (٧).

(٣) سورة الشوري الآية: (٤٠).

(٤) تفسير الطبري (١١/١٥٥).

(٥) الشوكاني: فتح القدير (٤/٧٤٠).

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة (٤/٩١).

وقال لقمان لابنه يا بني: لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، وأعرف قدرك تنفعك معيشتك. وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شراً كثيراً. واجتمع سفيان الثوري، وأبو خزيمة اليربوعي، والفضيل بن عياض، فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال: الحلم عند الغضب، والصبر عند الجزع.

وقال رجل لعمر ﷺ: والله ما تقضي بالعدل، ولا تعطي الجزل؟ فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع إلى الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾؟ فقال عمر: صدقت. فكأنما كانت ناراً فأطفئت.

فانظر - رحمك الله - كيف كانوا يقفون عند كتاب الله ﷻ فيهذب أفكارهم، ويروض أفعالهم، ويحسن ردودهم؟ قال محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله:

١) إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل.

٢) وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق.

٣) وإذا قدر لم يتناول ما ليس له[١].

أخي: أريدك أن تكون كعمر بن الخطاب ﷺ فقد قال: "كل الناس مني في حِلٍّ"[٢]. وأن تعلم أنَّ: "أفضل أخلاق المؤمن العفو"[٣].

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين (١٧٦/٣).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٢٩٠٧/٧).

(٣) موسوعة نضرة النعيم (٢٩٠٧/٧) وهو قول الحسن ﷺ.

ومن الأمور التي تساعدك على سلامة الصدر، وهي من مظاهر سماحة النفس:

١) أن تقرب من يعصيك.

٢) أن تكرم من يؤذيك.

٣) أن تعتذر إلى من يجني عليك.

٤) تترك الخصومة.

٥) تتغافل عن الزلة.

٦) تنسى الأذية(١).

وأخيراً ثق أنَّ: العفو أفضل، والنسيان أحسن، والتسامح أنفع، فتذكر دائماً ضعفك وعجزك واحتياجك لله وعندها ستكون متصفاً بأفضل الصفات راضياً بمن حولك من الناس.

* * *

(١) للمزيد يُنظر: خالد بن أحمد بابطين: نشر الورود والرياحين بإصلاح ذات البين وسلامة الصدور للمؤمنين.

المبحث الثاني: الرسائل: أقسامها، دورها في العلاج، ونماذج منها.

دور الرسائل في نشر الفضائل وطي الرذائل:

أعلم أن لجم النفس وسوقها إلى التواضع، وكسر كبرها وعنادها من الأمور الصعبة - إن لم يكن أصعبها- فليس من السهل على الإنسان أن يخضع ويذل نفسه لأخيه المسلم: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]، ولكنني أحدثك أنت يا من وصفك الله بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]. قال سفيان بن عيينة: سمعتُ أبو حازم يقول: قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك[3]. فحاول مع نفسك وستنتصر عليها بإذن الله.

وأنا معك أن المواجهة قد تكون صعبة، خصوصاً إذا طال الفراق واستحكم العباد وحدث بينكما القيل والقال وتفشَّي العتاب، فربَّ شرٌ هاج أوله العتاب، ولكن هناك طرقاً كثيرة غير المواجهة قد تكون بدائل جيدة، ومنها الرسائل، وهي قسمان:

الأول: الرسائل الصامتة.

الثاني: الرسائل الناطقة.

---

(١) سورة البقرة الآية: (٤٥).

(٢) سورة المائدة الآية: (٥٤).

(٣) الأصبهاني: حلية الأولياء (٢٣١/٣).

القسـم الأول: الـرسـائل الصـامـتـة:

وهي تلكم الرسائل التي تتحدث عن نفسها، وتبين قولك، وما تريد أن توصله بصورة راقية رقيقة، تاركةً خلفها حباً لا تعكره الأيام، ولا يؤثر فيه تغير الأزمان، وأقصد بهذه الرسائل الصامتة "الهدية"[1]!!

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الهدية، فقالت ملكة سبأ- بلقيس - لما خافت من سليمان عليه السلام، قالت للملأ من حولها: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ❖ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾[2]. فأرادت استمالة قلب سليمان لدفع الضرر عنها، وأرادت مصانعته، وأن تثنيه عن دعوته لها ولقومها وتهديدهم لهم، وسليمان لم يقبل الهدية؛ لأنها لم تكن لوجه الله، ولا كان فيها معروف، وإنما أرادت إيقافه عن جهادها، عن الجهاد وقتال هذه البلدة وهي اليمن، فلما رأى سليمان عليه السلام أن هذه الهدية ليس فيها خير ولم يرد بها وجه الله ردها، وقال: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ**

(١) قال فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد في محاضرات الآداب الإسلامية: "وهي شعيرةٌ إسلامية جميلة جداً، فبها يتم سببٌ عظيمٌ للتآلف بين القلوب والاجتماع، وشيوع المودة بين المسلمين، وهذا من أعظم ما جاء في شريعة الإسلام. وقال عن تعريفها: فإنها ما أتحفت به، والتهادي: أن يهدي بعضهم إلى بعض، يقال: أهديت له وإليه، والجمع هدايا، وهداوى، وهداوي، وهداوٍ كما هي في بعض روايات أهل اللغة، والهدية: مفرد هدايا، يقال: أهدى له وأهدى إليه، كلاهما صحيح، فيتعدى الفعل باللام وإلى، ويقال: أهدى الهدية إلى فلان، وأهدى له هدية، أي: بعث بها إكراماً له.

(٢) سورة النمل الآيتان: (٣٥-٣٦).

﴿تَفْرَحُونَ ❖ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾[1]. ليعلموا أننا نريد الجهاد وإقامة الدين، وليست القضية مجاملات وهدايا، كما هي العادة بين الملوك.

نعم – أخي الحبيب- فإن للهدية تأثيراً عجيباً لعلك ذقته قبل ذلك، وإنها لتذهب ما في الصدور من غلٍ وحقد، فكم هدية أثرت في تائه وقربته من أحبابه وأزالت ما به من أدغال وأحقاد، وكما قيل: الهدية هي السحر الظاهر، وقد وردت في السنة النبوية، وجاء النص عليها لما لها من الأثر العظيم في النفوس، كما قال ﷺ: " تَهَادُوا تَحَابُّوا"[2].

قال ابن عبدالبر: " ... لا يحل التباغض لأن التباغض مفسدة للدين "حالقة" له ولهذا أمر ﷺ بالتواد والتحاب حتى قال "تهادوا تحابوا"[3].

ولا شك أن الهدية سببٌ للمحبة وتآلف القلوب، وكان التابعون يرسلون بهداياهم، ويقول الواحد لأخيه الذي يهديه: نحن نعلم غناك عن مثل ذلك، وإنما لتعلم أنك منا على بال، يعني: نحن نعلم أنك مستغن عن هديتنا، ولكن لتعلم أننا نقدرك وأن لك في أنفسنا مكانة، وقال الشاعر:

هدايا الناس بعضهمُ لبعضٍ تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هواً ووداً وتكسوهُ إذا حضروا جمالا

---

(١) سورة النمل الآيتان: (٣٦ـ ٣٧).

(٢) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٧٩) رقم (٨٩٧٦)، وانظر حديث رقم (٣٠٤٤) في صحيح الجامع.

(٣) ابن عبدالبر: التمهيد (٦/١١٦).

وقال آخر: إن الهدية حلوةٌ كالســـــحر تجتذب القلوبا

تدني البغيض من الهوى حتى تصيره قريبا

وتعيد مضتغن العداوة بعد نفرته حبيـــبا[1]

وقد تصل الهدية ما انقطع بينك وبين أخيك، فيرق قلبه ويتذكر أنك لا تنساه، وخصوصاً إذا كانت الهدية هادفة، وإن أسعد ما يسعد الأخوة في هذا الزمان الكتب والأشرطة والسي ديهات، فأنت تعلم عن أخيك ما يحب منها فاقتني له كتاباً أو كتابان، أو مجموعة أقراص مدمجة لعلماء المسلمين من أهل السنة الذين يحبهم ويفضل سماعهم، ولا يشترط ارتفاع ثمنها فالقيمة ليست في الأثمان ولكن في المحتوى والمضمون، وكم من كلمة كانت أفضل من الدراهم والدينارات، وكم من كتاب بقي وذهب كاتبه وبائعه وحامله والمحمول إليه وهو ما زال تراثاً يتوارثه الأجيال، ويغترف منه القريب والبعيد، وأجر من جلبه باقٍ على طول المدى.

وإذا كنتَ قد أخذت في الاعتبار تحديد نوعية الهدية، فلا بد من اعتبار آخر لا ينبغي أن تهمله لأنه لا يقل أهميةً عن سابقه، وهو: اختيار الوقت المناسب لإرسال تلكم الهدية، فالوقت عامل هام لا ينبغي تجاهله، لأنك قد تجتهد في اختيار الهدية المناسبة ولكنك ترسلها في وقت هو فيه غضبان أو حزين أو غير مستعد نفسياً، فتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

(١) من محاضرات مفرغة لفضيلة الشيخ/ محمد صالح المنجد: سلسلة الآداب الإسلامية بتصرف يسير.

كـذا ينبغـي عليـك أن تحسن اختيـار الـذي يوصـل الهديـة في حالـة عـدم إرسالها بالبريد، لأن هناك من لا يحسن الإصلاح بين المتخاصمين، فضلاً عن تعكـير الـصفو، وقطـع البـاقي مـن العلاقـة بينكمـا، فكمـا وفقـك الله ﷻ في اختيار الهدية، وفي اختيـار الوقـت المناسـب لإرسـالها، فـلا بـد لاكتمـال هـذه المساعي الطيبة، والأخذ بالأسباب في أن تختار أخاً عالماً بما يقوم به فيكون حكيماً ماهراً فطناً لبيباً، فيصلح بينكما، أو يعمل على ترطيب وإنعاش ذاك النبع الذي جف طويلاً، وهو نبع الحب والأخوة في الله.

قال موسى بن يحي، كان يحي بن خالد يقول : ثلاثة تدل على عقول أربابها، الكتاب يدل على عقل كاتبه، والرسول على مقدار عقل مرسله، والهدية على مقدار مهديها[1].

واحذر – أخي الحبيب- المنَّ بالهدية، لأنك لن تستفيد إلا الأذى، والمنافرة، مع ما في المن من الوعيد الشديد؛ ومن اللوم الذي أنت جديرٌ بالابتعاد عنه غاية البعد استعظام الهدية، لأن هذا يحول صفو المحبة إلى كدرٍ، ولذتها إلى قرارةٍ، فكن على حذرٍ[2].

ولك أن تذكره بالنبي ﷺ، وأنه كان يقبل الهدية، فعند أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها: "كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ اَلْهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ص ٢٦٤.

(٢) فيصل بن عبده قائد الحاشدي: نعمة الأخوة، أهميتها - آدابها - حقوقها، دار الإيمان، ص ١٠٦.

عَلَيْهَـا"(١). وأنـه ﷺ قـال: "أَجِيبُـوا الـدَّاعِيَ وَلَـا تَـرُدُّوا الْهَدِيَّـةَ وَلَـا تَـضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ" (٢).

قال أبو حاتم ﷺ: زجر النبي ﷺ في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين، فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها، ثم يثيب عليها إذا قدر ويشكر عنها، وإني لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم، إذ الهدية تورث المحبة وتذهب الضغينة(٣). ويكفي الهدية منزلةً وفضلاً أنه ﷺ: "كَانَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ"(٤).

﴿ فضـــــــل الهـــــــديـــــة ﴾

قال الفضل بن سهل: ما استرضى الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلبت السخائم، ولا دفعت المغارم، ولا استميل المحبوب، ولا توقى المحذور، بمثل الهدية ؟!! ويقال: في نشر المهاداة طي المعاداة(٥).

وإذا أحسنت نيتك وفعلت ذلك مبتغياً وجه الله ﷻ وأرسلت له الهدية المناسبة، فإن قلبه سوف يلين من ناحيتك وينسى ما كان من جفاء وتقاطع فتزول "الحالقة" إلي غير رجعة، وتشعر بدفء الحب في الله، ولله، وتغمرك

---

(١) صحيح: البخاري (٩١٣/٢) رقم (٢٤٤٥)، سنن أبي داود (٢٩٠/٣) رقم (٣٥٣٦).

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، رقم (١٠٤٤٤)، البيهقي: شعب الإيمان، (٥٣٥٩)، مُصنف ابن أبي شيبة، رقم (٢٢٤١٨)، انظر حديث رقم: ١٥٨ في صحيح الجامع.

(٣) ابن حبان: روضة العقلاء (٢٤٢/١).

(٤) سنن أبي داود، رقم (٤٥١٢)، وانظر حديث رقم: ٤٨٨١ في صحيح الجامع، وصحيح: الأدب المفرد (٦٧/١) رقم (١٥٧).

(٥) المستطرف (١١٩/٢).

السعادة في الدنيا والآخرة، وتنام قرير العين، سليم الصدر، مستريح البال، ويتغير الحال من "الحالقة" إلي الألفة والمحبة والراحة:

وتلتئم ما بينكما منافذ الجراح
فتعود للشفاة بسمات الأفراح
وتنتزع الضغينة وآلام الأتراح
فينقشع الليل ويشرق الصباح
وتبتسم الشفاة في ودٍ وارتياح
عد ... فالهدية تداوي الجراح
وتودع القلوب الحزن والنياح
عد ففيها والله الفوز والفلاح[1]

قال الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى ووداً وتكسوك المهابة والجلالا
مصايد للقلوب بغير لغب وتمنحك المحبة والجمالا[2]

وإذا لم تتمكن أن تهديه هدية مادية لظروفٍ قد لا تساعدك علي ذلك، فالأمر واسع أمامك: فعن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾، قال إن من أعظم النفقة: نفقة العلم، وفي أثر آخر: نعمت العطية

(١) هذه الأبيات من إنشاء المؤلف وتنشر هنا لأول مرة.
(٢) روضة العقلاء (١/٢٤٤).

ونعمت الهدية الكلمة من الخير يسمعها الرجل فيهديها إلى أخ لـه مسلم. وفي أثر آخر عن أبي الدرداء: ما تصدق عبد بصدقة أفضل من موعظةٍ يعظ بها إخواناً له مؤمنين فيتفرقون وقد نفعهم الله بها[1]. وقال رجل لأبي الدرداء: فلان يقرئك السلام؟ فقال: هدية حسنة ومحمل خفيف[2].

وللرجل الذي يهمل ويقصر في توصيل الهدية نهديه هذه الهدية السلفية القيمة، جاء رجل إلى سليمان فقال: يا أبا عبدالله فلان يقرأ عليك السلام؟ فقال: أما إنك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك[3].

وإذا تعذر عليك أن ترسل له هديةً مادية ولو بسيطة جداً، فبإمكانك أن ترسل له هدية معنوية من أعظم الهدايا، ولن يعلم قدرها إلا يوم الدين، قال تعالي: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[4]. فلا تنسِ أخاك وأنت في ظل هذه الظروف القاسية من العداوة والخصام الحادث بينكما - لا تنساه- بالدعاء وأنت مخلص، وبهذا الدعاء تكون قد دعوت لنفسك بطريقٍ غير مباشر، بل أفضل مما تدعو لنفسك مباشرةً، وذلك لأنه ﷺ قال: "إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتِ

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٢).

(٢) البيان والتبيين (١/٢٦٤).

(٣) البيان والتبيين (١/٢٦٥).

(٤) سورة الحشر الآية: (١٠).

الْمَلاَئِكَةُ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ"[1]. ومعني (بظهر الغيب): أي في غيبة المدعو له، وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص[2]. وفي الحديث: فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً. وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه، يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها[3]. وقال: "دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد"[4]. فالله ﷻ يأمر الملائكة أن تؤمن على دعاؤك، فهل هناك أفضل من ذلك؟

رأيتُ كثير ما يهدى إليكم قليلاً فاقتصرت على الدعاء[5]

وكان أبو الدرداء يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم. وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم مما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى[6].

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٩٤) رقم(٢٧٣٢) ، سنن أبي داود (٢/٨٩) رقم (١٥٣٤)، والسلسلة الصحيحة (٣/٣٢٦) رقم (١٣٣٩).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٩٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/٤٩).

(٤) الأدب المفرد، رقم (٦٢٥)، وانظر حديث رقم: ٣٣٧٩ في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة (١٣٣٩).

(٥) المستطرف (٢/١٢٢).

(٦) إحياء علوم الدين (٢/١٨٦).

وقد تقول إنه لا يعلم بأنني أدعو له وأتمنى له الخير من قلبي، وأحب أن أصالحه، والدعاء من الهدايا الآجلة التي تدخر عند الله ﷻ، وأنا أريد فعلاً وصل من انقطع من وداد؟ وأريد خطوة ايجابية فماذا أفعل؟ أقول لك: من هنا يأتي دور القسم الثاني من الرسائل، فلا ينبغي عليك الاكتفاء بإهداء كتاب، وشريط فحسب، أو دعوة تدعوها له ... بل إن من وسائل الدعوة إلى الله- تعالى- والإصلاح: "المراسلة"، حتى ولو كان القرين، أو المدعو قريباً.

فإن للرسائل المكتوبة أثراً خاصاً في النفس، وقد يعجز الإنسان أحياناً عن تبليغ مكنونات قلبه مشافهة، فيكون بتسطير المكتوب أثر أبلغ على القارئ. بالإضافة إلى أن الكتابة تجعل ألفاظ الكاتب دقيقة مركزة منتقاة، كما تدعو القارئ إلى استعادة القراءة، والنظر الطويل، والمتأمل.

ولذا فإن فن رسائل الإخاء قديم، وأثره في النفوس معروف، ولقد تبادل العلماء الفقهاء رسائل المودة، والنصح، وازدحمت كتب الأدب بنماذج منها، والتي لا يعني الداعية ما ورد فيها من تملق ورياء، أو من أشواق، وغزل ... ولكن نعني بها رسائل الدعاة، وما اشتملته من نصح، وموعظة، أو ما تضمنته من مناقشة، وحوار، أو ما تكون قد حملته من اعتذار، أو عتاب. ورغم ما حصل اليوم من تطور في أساليب الاتصال، إلا أن للرسائل طعماً خاصاً، لا يزال يؤدي دوره في مجالي الدعوة والتربية والإصلاح، فتعالي معي لنتعرف عن قرب تلكم الصامتة الناطقة.

القســـــــم الثانـــي: الـــرســـــــائل الناطقـــــــة:

وأقصد بالرسائل الناطقة، تلكم التي تستطيع أن تتحكم من خلالها في آفات نفسك، وتتغلب علي عنادها، فقم وتوضأ وصلي ركعتين لله ﷻ، ثم اجلس علي أرض خضراء، عند سماء ومياه تنسال، أو بين أشجار وطيور تختال، أو عند غروب وشروق، أو بين سهول وجبال، أو في روضة مسجد مفتوح، أو حتى أعلى بيتٍ فوق سطوح.

ثم تأمل ما حولك من منظر خلاَّب الألوان، بدرجاتٍ متفاوتة: ﴿**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ**﴾[1]، لا تنظر نظرة عابرة فقد سئمنا منها كثيراً، تدبر السماء بما فيها، والأرض وما عليها، وتذكر أن من أفضل ما منَّ الله به علينا: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]. إذا وصلت إلي هذه المنزلة، وعلمت فضل الله عليك، فستشكره علي كل هذه النعم، وإن من شكران النعمة أن تعود إلي أخيك، ولتكن هذه الجلسة الربانية هي البداية، تذكر أيامك الحلوة مع أخيك الذي انقطعتَ عنه منذ أمدٍ طويل، وانظر إلي الجوانب المشرقة في الأخوة، ثم تناول وريقة وقلماً، ثم خط بيدك ما يمليه عليك إيمانك والتزامك وعفوك وإحسانك.

---

(١) سورة الرعد الآية: (٤).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٦٣).

أخي الحبيب: لقد قرأتُ كتاباً صغيراً في حجمه كبيراً في قدره، للدكتور/ محمد إسماعيل المقدم، بعنوان: "الهوية الإسلامية"، أدمى مني الجراح، وجعلني أزداد ألماً علي ألمي، وعرفتُ من خلاله حجم ما يُدبر للمسلمين من مكائد، وما يراد لهم من تشتت وتمزق وتشرذم، فأيقنتُ تمام اليقين أن هذه الثلمة التي بيننا، والرزية التي نعاني منها، هي من قبل أنفسنا، وأنه ﷺ لما حذرنا بأنها: " ... لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين ... " كان بوحي من الملك العليم، فكفاك - أخي - حلقاً في دينك فالعدو يتربص بنا الدوائر، وإذا لم نصلح ما بيننا من عداوات وخصومات، فسنكون لقمةً شهيةً، ووجبةً دسمة للكافرين.

وتذكر أنك بعنادك قد يداهمك من لا يستأذن علي الملوك، فتُقدم علي الله وأنت فقيرٌ نادمٌ علي فراق هذا الأخ، قال علي ﷺ: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿**فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ❖ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[1]. وقال عمر ﷺ: إذا أصاب أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك[2].

وقال الأحنف: الإخاء جوهرة رقيقة، إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير. ومن آثار الصدق

(١) سورة الشعراء الآيتان: (١٠٠، ١٠١).

(٢) إحياء علوم الدين (١٦٠/٢).

والإخلاص وتمام الوفاء، أن تكون شديد الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل:

وكلُّ مُصِيبات الزمان وجدتُها سوى فُرْقَة الأحباب هيّنةَ الخَطْبِ[1]

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: لقد عهدت أقواماً فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يُخيَّلُ إليَّ أن حسرتهم ذهبت من قلبي.

وقال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا، ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا[2]!! ولقد قال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف، فإني كنت معهم على نفسي، ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه[3]. وقال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خيرٌ مني؟ قيل: وكيف ذلك؟ قال: كلهم يرى لي الفضل عليه، ومن فضلني على نفسه فهو خير مني[4]. قل لأخيك في رسالتك له بصدقٍ:

بيني وبينك في الهَوَى أسبابُ ... وإلى المحبَّةِ ترجعُ الأَنسابُ

يا غائباً بكتابه ووصاله ... هل يُرْتجى من غيبتيك إيابُ؟

لولا التعلُّلُ بالرجا لتقطَّعَتْ ... نَفْسٌ عليك شعارُها الأوصابُ

---

(١) ورد البيت في كتب الأدب بلفظ آخر وهو: كلُّ مُلِمّات الزمان وجدتُها ... سوى فُرْقةِ الأحباب هيِّنَةَ الخَطْب. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني (٩/٢٢٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/١٨٨).

(٣) إحياء علوم الدين (٢/١٨٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٢/١٩٠).

لا تأسَ من رَوح الإله فربَّما   يصلُ القَطوعُ ويَحْضُرُ الغُيَّابُ[١]

قل له :

الجسم في بلد والروح في بلد   يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد

إن تبك عيناك يا من كلفت به من   رحمة فهما سهماك في كبدي[٢]

لا تدع "الحالقة" تحلق ما تبقى من رأفةٍ ومودةٍ كانت بينكما، لا تدعها تجعلك عارياً عن شعيرة التقوى، وشعائر الإيمان، لا تدع المعاصي تتواصل أكثر من ذلك، فكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً وهو بعد لم ينكح، أو نكح ولم يجامع، أو جامع ولم ينزل، فهو معتوه، فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن، أو آمن ولم يعمل صالحاً، أو عمل ولم يترك المعاصي، فهو مغرور[٣]؟! فكفي غروراً ومعاصي. وهل هناك غروراً أكثر مما أنت مصرٌ عليه من تقاطع وتدابر وعناد وخصام؟

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر[٤]

أخي الكريم: لا بد وأن تراعي أنه:

وما من كاتب إلا سيفني ويُبقي الدهرُ ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

(١) الوافي بالوفيات (٣٠٨٧/١).

(٢) النجوم الزاهرة (٢٦٦/٣).

(٣) إحياء علوم الدين (٣٨٥/٣).

(٤) كشف الخفاء (٣٠١/٢).

وفي البداية وقبل النهاية أقول لك: يكفي مع سلامة القلب كلمة ... ولا يكفي مع فساد القلبِ، ألف ألف كلمة؟؟

﴿ الـرســـــائل الهـــاتـفيـــــة ﴾

إن من النعم التي منَّ الله بها علينا هذا الهاتف النقال، فهو سلاح ذو حدين، يقرب البعيد ويدني الحبيب في أي لحظة وفي كل وقت، ولا يشك عاقل في أنه يستعمل كثيراً في المحرمات وخصوصاً بعدما أصبح مُيَسراً للجميع بأقل الإمكانيات وبإمكانيات عالية، والتي بها إمكانية التصوير الفديو، والتي بها إمكانية التسجيل لفترات طويلة، والتي ترسل الصور بأقل تكلفة لأي مكان في العلم وفي سرعة جنونية.

كم حزن قلبي لكثرة ما سمعتُ عن نفايات وجرائم هذه الهواتف، وكم أثَّر في قلبي ما يدبر بليلٍ للإسلام وأهله من خلال هذه الفتنة العارمة، فالموسيقى تغزوك في كل مكان وبكل الأشكال، أغاني الأفلام والمسلسلات والمسرحيات والراقصين والماجنات، تلوث سمعي فوق الأرض وتحت الأرض، في وسائل المواصلات، حتى في المساجد - والعياذ بالله- يجسمون لك النغمات ويكأنها فرقة تعزف أمامك، يتحكمون فيك كما يريدون وأنت أيها المسكين كالميت بين يدي مغسله.

كنتَ تنكر هذه الفتن في أولها ثم لم تلبث أن أصبحت من روادها، ولما أنكرنا عليك قلتَ مبرراً لنفسك هذه التفاهات: لازم أعمل كده علشان التطور... الظروف ... مسايرة العصر ... العلاقات الاجتماعية ... زملائي ...

وكذا، وكذا ... مطلقاً لنفسك عنانها غير عابيء بالنتائج!! فيا حسرة علي العباد.

ولكن الحق لا ينكر فإن العلماء حولوا هذه النقمة إلي نعمة، وقيد الله ﷻ للأمة من يدافع عنها، ويقول لهم بلسان الحال: "من المحن تأتي المنح"، فإذا بأدعية تبرمج مكان النغمات، وسور للقرآن ترسل مكان صور الشيطان، ورسائل بها أعزب الجمل وألطف الكلمات وأحسن العبارات، ترسل بين الأخوة، منها ما يذكر بالله، ومنها ما يطلب دعوة صادقة من أخ لأخيه، ومنها ما يذكر بفضائل النوافل كالصيام والقيام والصدقات ومواعيد الخطب والدروس، ومنها ما يصلح بها بين المتخاصمين، وغيرها.

في الحقيقة - أحبتي في الله - عندما رأيتُ حجم هذه الفتنة، والفتن التي قبلها مثل الكمبيوتر وما يلحق به كالإنترنت، والتلفاز وغيرها تذكرتُ قول الملك ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾(١). وأيقنتُ تمام اليقين بأن الله ﷻ يحرس دينه، وأنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا، ولو علم مصمموا هذه الأجهزة بأنها ستخدم الإسلام لما صمموها، ولكن: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾(٢).

---

(١) سورة الأنفال الآية: (٣٦).

(٢) سورة آل عمران الآية: (٥٤).

أخي: إذاً أصبح الأمر ميسر لك بأن ترسل لأخيك رسالة عن طريق الهاتف تعبر فيها له عمَّا تريد، وتحاول أن تصلح ما بينكما.

وإن من الرسائل اللطيفة، ذات المعاني الكثيفة، والعبارات الظريفة، ما يشفي الصدور، ويذهب الجفاء ويأتي بالسرور.

﴿دور الـــرســـــائل فـــي نشـــــر الفضـــــائل﴾

قف معي الآن - أيها الأخ الفاضل- لنعيش سوياً مع "دور الرسائل في نشر الفضائل"، ولنقف مع نمازج عملية للسلف الصالح، وكيف كانوا يستعملون هذه النعمة المادية والمعنوية والمتمثلة في الرسائل بشقيها في وصل ما انقطع من علائق الحب والمودة، فتجد فيها مالا يمكن أن يتخيله بعض الأخوة، ولولا أنني أعلم من بعض الأخوة الأحباب أن منهم من فعل هذا في زماننا، ما وصلت إلي قناعةٍ شافيةٍ بحدوث مثل هذا.

وحتى لا أطيل في التقدمات، وأفوت عليك عنصر المفاجآت، فهذه بعض من الرسائل النيرات، التي سطرت بأعزب الجمل والعبارات، بأيدٍ طاهرةٍ وصالح النيات، فوصلت المقطوع وأذابت العداوات، فاندحرت "الحالقة" وقبرت التفاهات، وعاد الربيع فأينعت الثمرات، وأشرقت شمس المحبة فأزالت الظلمات، وتوحد الصف واتفقت الكلمات:

جري بين الحسن بي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخيه محمد بن الحنفية خلاف، فانصرفا متغاضبين ... فلما وصل محمد إلي منزله أخذ رقعة وكتب فيها: **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي، إلى أخيه الحسين بن علي**

أما بعد : فإن لك شرفاً لا أناله، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأتَ رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسِرِ إليَّ فترضاني، وإياك أن أكون سابقك إلي الفضل الذي أنت أولي به مني، والسلام، ، ، فلما قرأ محمد ﷺ الرقعة، لبس رداءه ونعليه، ثم جاء إلي أخيه فترضاه ، ، ،

ولي صديقٌ ما مسَّني عَدَمٌ ... مذ وقعتْ عينُهُ على عَدَمي
أغنى وأقنى وما يكلّفني ... تقبيلَ كفٍّ له ولا قَدَمِ
قام بأمري لَّما قعدتُ به ... ونمتُ عن حاجتي ولم يَنَمِ[1]

أخي الحبيب: ألبس رداءك الآن ونعليك واذهب إلي أخيك فترضاه، وإياك أن يكون سابقك إلي الفضل، فعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ"[2]. وفي رواية لأبي داود قال النبي ﷺ: "لاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلاَثٍ فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاَثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِى الأَجْرِ وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ"[3].

وقال أبو بكر الأثرم، قلت لأحمد بن حنبل: إذا سلم عليه هل يجزئه من ذلك سلامه؟ قال: ينظر إلى ما كان عليه قبل المصارمة، فلا يخرجه من

(١) الوافي في الوفيات (١/٣٠٨٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠) وفي رواية لهما: " فيصد هذا، ويصد هذا".

(٣) زَادَ أَحْمَدُ «وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الْهِجْرَةِ»، رواه أبو داود، رقم (٤٩١٤).

الهجران إلا بالعودة إلى ما كان عليه، ولا يخرجه من الهجرة إلا سلام ليس معه إعراض، ولا إدبار[1].

أخي الكريم: لابد وأن تتذكر دائماً أن البغضة "حالقة" للدين، لأنها تبعث على الغيبة، وستر المحاسن، وإظهار المساوئ، وربما آلت إلى أكثر من ذلك ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى[2].

أخي الحبيب: لا بد أن تعلم أن من آداب الأخوة، أن لا تقاطع أخاً بعد أن صادقته، ولا ترده بعد أن قبلته، وأن هذه الأخوة من الأعمال الصالحة التي تتقرب بها إلى الله تعالى.

ومن آدابها: قبول العذر ممن اعتذر إليك صادقاً كان فيه أو كاذباً.

اقبلْ معاذيرَ من يأتيكَ معتذراً إن برَّ عندكَ فيما قال أو فجرا
لقد أعطاكَ من يرضيكَ ظاهرُهُ وقد أجلكَ من يعصيكَ مستترا[3]

اجعل لسان حالك مع أخيك دائماً:

قيلَ لي قد أساءَ إليك فلانٌ ومُقام الفَتَى على الذُّلِّ عَارُ
قلتُ قدْ جاءَنَا وأحْدَثَ عُذْراً دِيةُ الذنبِ عِندنَا الاعْتذَارُ[4]

(١) ابن عبدالبر: الاستذكار (٨/٢٩٠).

(٢) ابن عبدالبر: الاستذكار (٨/٢٨٩).

(٣) تاريخ الإسلام (١/٢١٥٥)، آداب الصحبة (١/١٠١).

(٤) الأذكار للنووي (١/٨٠١).

وقد قال الشافعي رحمه اللّه: من اسْتُرضي فلم يرضَ فهو شيطان. فلا بد وأن ترضى من أخيك الاعتذار. قال عبد الله بن منازل: المؤمن يطلب عذر إخوانه والمنافق يطلب عثراتهم[1].

أخي الحبيب: وقد تقول وكيف لي أن أعتذر إليه وهو الظالم وأنا صاحب الحق؟ أقول لك: واللهِ خيرٌ لك أن تعتذر إلي ظالمك:

ظلمتني ثم إني جئتُ معتذراً يكفيك أني مظلوم ومعتذرُ[2]

وإن من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجاني، قال الشاعر:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر[3]

وعندما تعتذر إليه: ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[4].

ثم ينبغي عليك ألا تنسى قول القائل:

أحسن إلي الناس تستعبد قلوبهم فلطالما استعبد الناسَ الإحسانُ

أخي: بكل المقاييس:

أريدك حقاً أن ترجـع أريد لعينيك أن تدمـع

أريد لقلبك أن يخضـع أريد لك دفء المضجع

أريدك أن تمضي دون خوفٍ على قدميـك لا لأربع

ألا أحذر أخيه من الحالقات لحالقة الدين لا تخضـع

---

(١) آداب الصحبة (١/١٠١).

(٢) ذم الهوى (١/٦٥٨).

(٣) المستطرف (١/٤١٢).

(٤) سورة فصلت الآية: (٣٤).

فتندم والقلب يدمي جراحاً على الذنب يا ذنبك الأشنع
يوم لاينفع فيه البنون ولا المال يجدي أو ينفــع
ألا أرجع أخيه إلى الصالحات وبالحسنى يومك أن تدفع
وصل من قطعتَ ورُدَّ المظالم وارجع منيباً عسى تُسمع
واحبب أخاك بدون إنتفاعٍ عسى في الجنات تُجمعَ
أريدك حقاً أن ترجع أريد لعينيك أن تدمع
أريد لقلبك أن يخضع أريد لك دفء المضجع[1]

أخي: إن أطلقت لنفسك العنان في مقاطعة الإخوان، فسوف تخسر ما مضى وما كان، فسوف تحزن طول الأزمان، فسوف لا تحظى من الناس بالأمان.

أخي: إن من أغرب الرسائل التي وقفت عليها، ما كتبه: فيلسوف إلى من في درجته، أن اكتب إليَّ بشيء ينفعني في عمري؟؟ فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

اسْتَوْحَشَ من لا إخوان له، وفرط من قصر في طلبهم، وأشد تفريطاً من وجد واحداً منهم وضيعة بعد وجده إياه، ولو وجد أن الكبريت الأحمر أيسر من وجدان أخ أو صديق موافق، وإني لفى طلبهم منذ خمسين سنة فما ظفرت إلا بنصف أخ، وتمرد عليَّ وانقلب.

(١) هذه الأبيات من إنشاء المؤلف.

واعلم أن الناس ثلاث: معارف، وأصدقاء، وإخوان؛ فالمعارف: بين الناس كثير، والأصدقاء: عزيزة، والأخ: قل ما يوجد[1].

أأخي إنَّ أخاك مذ فارقته شوقاً إليك فؤاده يتقطع
يشكو جفاءك معلناً بلسانهِ وفؤاده من خوف غدرك يوجع
ويقول معتذراً إلى من لامه: إن الشقيق بسوء ظن مولع
اسلم وكن لي كيف شئت على النوى مهما فعلت فلست ممن يقطع[2]

قال بعض الحكماء من السلف: عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم[3]. لذا قال الحسن، كان عمر بن الخطاب ﷺ يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل، فيقول: "يا طولها من ليلةٍ"، فإذا صلى المكتوبة غدا إليه وعانقه[4].

﴿رســـــالـة نـــادرة﴾

كتب أحدهم إلي صديقه: "أما بعد: فإن كان إخوان الثقة كثيراً فأنت أولهم، وإن كانوا قليلاً فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحداً فأنت هو"[5].

---

(١) آداب الصحبة (١/٦٣).

(٢) الوافي بالوفيات (١/٧٥٨).

(٣) آداب الصحبة (١/٦٧).

(٤) موسوعة نضرة النعيم (٢/١١١).

(٥) أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة: في رياض الأخوة مفسدات الأخوة ص (١٤١)، دار الصفوة، ط ١، ١٤١٨ هـ، نقلاً عن الصداقة والصديق ص ٤١.

﴿ ورســـــــالـة عــــامـــــرة ﴾

كتب ابن أكمل إلي ابن سيرين، وكان بينهما ود متوارث: "إن رأيت أن تردي ظمأ أخيك بغرتك، وتبرد غليله بطلعتك، وتؤنس وحشته بأنس قربك، وتجلو غشاء ناظره بوجهك، وتزين مجلسه بجمال حضورك، وتجعل غداءك عنده في منزلك الذي هو فيه ساكنك، وتهب له السرور بك باقي يومه، مؤثراً له علي شغلك فعلت إن شاء الله". فأجابه: "كيف أروي ظمأك إليَّ مني، وأنا أشد ظمأ إليك منك إليَّ، وعلي حيلولة ذاك فالتلاقي أبرد لغليل النفس، وأجلب لما شرد من الأنس، وها أنا قد هيّأتُ كلِّي لطاعتك، وبشرت روحي بالاستمتاع بحديثك، ... والسلام"[1].

﴿ ورســـــــالـة غيـــــر مبــاشـــــرة ﴾

قال إياس بن معاوية: خرجت في سفر ومعي رجل من الأعراب، فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم فتعانقا وتعاتبا وإلى جانبهما شيخ من الحي، فقال لهما: انعما عيشاً إن المعاتبة تبعث التجني، والتجني يبعث المخاصمة، والمخاصمة تبعث العداوة، ولا خير في شيء ثمرته العداوة.

قال الشاعر: **فدع ذكر العتاب فرب شر طويل هاج أوله العتاب**

وقيل: العتاب من حركات الشوق وإنما يكون هذا بين المتحابين.

وقال آخر يعاتب صديقه:

---

(١) أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة: في رياض الأخوة مفسدات الأخوة ص (١٤١)، نقلاً عن المختار من الصداقة والصديق ص ١١٢.

وكنت إذا ما جئت أدنيت مجلسي ووجهك من تلك البشاشة يقطر

فمن لي بالعين التي كنت مرة إليَّ بها في سالف الدهر تنظر

وقال أبو الحسن بن منقذ:

أخلاقك الغر السجايا مالها حملت قذى الواشين وهي سلاف

ومرآة رأيك في عبيدك مالها صدئت وأنت الجوهر الشفاف(١)

أخي الحبيب: قبل أن أنهي معك هذه الوقفات أقول لك: إن تواضعك ما هو إلا عزٌ، وكبرك ما هو إلا ذلٌ، وإعراضك عن أخيك ما هو إلا خسرانٌ ووبالٌ، وعودتك له ما هو إلا ربحٌ وانتصارٌ، ويوم القيامة يتضح الفارق، وأنت لم تصنع المستحيل عندما عدت إلي أخيك، فلا تمنَّ عليه، ولا تتفاخر بما فعلته من بدءك له بالمصالحة، فغيرك قد فعل مع إخوانه ما لم يخطر علي بالك يوماً، بل أقول: ولن يخطر أبداً علي بالك؟؟ وحتى لا أكون متقولاً عليك ففيما سيأتي الآن ما يوسع الصدور، ويأتي بالسعادة والسرور، فعش معي بين ما يأتي من همسات في تلكم السطور:

قال أبو بكر الكتاني: "صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً، فوهبت له يوماً شيئاً على أن يزول ما في قلبي فلم يزل، فأخذت بيده يوماً إلى البيت وقلت له: ضع رجلك على خدي!!" فأبى!! فقلت: لا بد!! ففعل. فزال ذلك من قلبي"(٢).

(١) المستطرف (١/٤٢٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/١٨٣).

أخي الحبيب: بالله عليك هل تستطيع أن تفعل هذا مع إخوانك؟ ستقول لي: إن هذا من قمة درجات الذل، ولا يستطيع أحد أن يفعله أبداً. أقول لك: نعم، إنه من الذل، وإنني أعلم عن بعض الأخوة من فعل هذا فعلاً!!! والله ﷻ قال: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[1]. فما أحلاه ذلاً إذا كان من صفات المؤمنين، فإن الذل الذي فيه العز، خيرٌ من العز الذي فيه الذل. قال تعالي: ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾. قال الشاعر:

لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا حتى يدلوا وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا صفح ذل ولكن صفح إكرام

قال الأحنف: إياكم ورأي الأوغاد؟ قالوا: وما رأي الأوغاد؟ قال: الذين يرون الصفح والعفو عاراً. وأراك قد تقول: لن أطأطأ له رأسي، ولن أعود إليه، ولن .....إلخ.

أقول لك: إننا نحسبك علي خير، ونحسبك عند القرآن وقَّافاً، ومحباً للسنة، ومهتدياً بهدي السلف، ومن كان كذلك، فحتماً سيعود إلي أخيه، مادام يعلم تمام العلم أن أمامه "عقباتٌ كؤود"!!

ومع رسالة من نوع فريد، تقول لك بلسان حالها: إن أرسلت إلي أخيك ولم يقبل منك الاعتذار، فأذهب إليه وصالحه قبل البوار:

كتب معاوية إلى عقيل بن أبي طالب ﷺ، يعتذر إليه من شيء جرى بينهما ، يقول: من معاوية بن أبي سفيان، إلى عقيل بن أبي طالب، أما

(١) سورة المائدة الآية: (٥٤).

بعد: يا بني عبد المطلب فأنتم - والله - فروع قصي، ولباب عبد مناف، وصفوة هاشم، فأين أخلاقكم الراسية؟ وعقولكم الكاسية؟ وقد - والله - أساء أمير المؤمنين ما كان جرى، ولن يعود لمثله إلى أن يغيب في الثرى؟ فكتب إليه عقيل يقول:

صدقتَ وقلتَ حقاً غير أني أرى أن لا أراكَ ولا تراني

أقول سوء في صديقي ولكنني أصد إذا جفاني

فركب إليه معاوية ﷺ، وناشده في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع[1].

وهذه رسالة يتضح فيها فضل العفو ومكارم الأخلاق ومقابلة السيئة بالحسنة، فخذها باسم الله: قيل كان لعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما- أرض، وكان له فيها عبيد يعملون فيها، وإلي جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون فيها، فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير، فكتب عبد الله كتاباً إلي معاوية يقول له فيه: أما بعد، يا معاوية إن عبيدك قد دخلوا في أرضي، فانههم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن؟! والسلام. فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه، دفعه إلى ولده يزيد، فلما قرأه قال له معاوية يا بني ما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه. فقال: بل غير ذلك خير منه يا بني؟ ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه: أما بعد، فقد وقفتُ على كتاب ولد حواري رسول الله ﷺ ما ساءه، والدنيا بأسرها هينة

(١) المستطرف (١/٤٠٩).

عندي في جنب رضاه، نزلت عن أرضي لك فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال، والسلام.

فلما وقف عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما- على كتاب معاوية ﷺكتب إليه: قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل، والسلام.

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه، رمى به إلى ابنه يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر، فقال له أبوه: يا بني من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداؤه بمثل هذا الدواء[1].

أخي الحبيب: عد إلي أخيك قبل أن يتخطفك الدوار، وتستهويك الأشرار، فتنشر منك الأسرار، فتغتم وتحتار، فتصاب بالعار، وخراب الديار، ودار البوار، فتكتب بكفك كلاماً حار، فتقول مثل القائل: "سلكتُ القفار، وطفتُ الديار، وركبتُ البحار، ورأيت الآثار، وسافرت البلاد، وعاشرت العباد، فلم أجد صديقاً صادقاً، ولا رفيقاً موافقاً، فمن قرأ هذا الخط، فلا يغتر بأحدٍ قط"[2].

***

(١) المستطرف (١/٤١١).

(٢) أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة: في رياض الأخوة ص (١٥٢)، نقلاً عن الصداقة والصديق ص ١٠٣.

المبحث الثالث: في الإصلاح بين المتخاصمين، وصفات المصلحين.

الإصلاح لغة: مصدر أصلح يصلح وهو مأخوذ من مادّة (**ص ل ح**) الّتي تدلّ على «خلاف الفساد»(1). **واصطلاحاً**: مأخوذ من الصّلح: وهو عقد يرفع النّزاع وهو بمعنى المصالحة، وهو المسالمة خلاف المخاصمة، وأصله من الصّلاح وهو ضدّ الفساد، ومعناه دالّ على حسنه الذّاتيّ، وكم من فساد انقلب به إلى الصّلاح بحسنه؛ ولهذا أمر اللّه تعالى به عند حصول الفساد والفتن بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾(2) **أنواع الإصلاح**:

إصلاح ذات البين: ومعنى ذات البين: صاحبة البين، والبين في كلام العرب يأتي على وجهين متضادّين: فيأتي بمعنى الفراق والفرقة، ويأتي بمعنى الوصل. وإصلاح ذات البين على المعنى الأوّل: يكون بمعنى إصلاح صاحبة الفرقة بين المسلمين، وإصلاحها يكون بإزالة أسباب الخصام، أو بالتّسامح والعفو، أو بالتّراضي على وجه من الوجوه، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحلّ عقدة الفرقة. أمّا إصلاح ذات البين على المعنى الثّاني، فيكون بمعنى إصلاح صاحبة الوصل والتّحابب والتّآلف بين المسلمين، وإصلاحها يكون برأب ما تصدّع منها، وإزالة الفساد الّذي دبّ إليها بسبب الخصام والتّنازع

(1) موسوعة نضرة النعيم (٢/٣٦٤).

(2) سورة الحجرات الآية: (٩).

(3) موسوعة نضرة النعيم (٢/٣٦٤-٣٦٥) نقلاً عن: الأضداد للأنباري: ٧٥، والأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٥٢، ٣٥١- ٣٥٢، ٢٢٥). والأخلاق الإسلامية للميداني (٢/٢٣٠).

على أمر من أمور الدّنيا[1]. ولقد قام الرسول ﷺ بعملية الإصلاح بين المسلمين خير قيام، وكان قدوة صالحة على مر السنين والأيام، لا تنقضي ولا تنتهي حتى يوم القيامة، فها هو يحدثهم عما مضى وكان، من نزاع وخصام، وكان قد وقع بين بعض الأنام، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا﴾[2]. قلتُ: سبحان الله!! ماذا لو كنا نحن مكان هذا الذي وجد الذهب؟ هل سيكون حالنا كحاله؟ وإذا فعلنا مثله، وقال صاحب العقار لنا مثلما قال له، هل كان سيصل بنا الأمر لمثل ورعه وتقواه لدرجة أن يذهب بصاحبه لكي يتحاكم إلى الحاكم؟

في الحقيقة هم قوم رفضوا الدنيا فأتتهم الدنيا وهي راغمةٌ، فليكن لنا هذا المثال قدوة لكي نرتفع عن مطامع الدنيا وزخارفها بجناحي نسر لا بجناحي فراشة.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٢/٣٦٤).

(٢) **متفق عليه**: ينظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، (١/٥٣٨).

أخي الحبيب: ومعنا الآن مثالاً صالحاً لكل زمان ومكان حيث قضى فيه الرسول ﷺ بين خصمين فرضي صاحب الحق بحكمه ﷺ تاركين خلفهم همسات لكل من وقع في خصام أو نزاع أو شجار أن يرضى بحكم إخوانه ولا يجعل الشيطان من أعوانه فيصم عن الحق آذانه فيخسر في الدنيا أيامه. عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هذَا وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ، أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ»(١). فلقد اتضح من خلال هذا الحديث أمور كثير منها ما هو موضوع الشاهد، وهو: "جواز الإصلاح بين الخصوم، وحسن التوسط بينهم"(٢).

أخي الكريم: لا بد وأن تقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه وفضلني على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً، قل هذا الدعاء بقلبٍ مخلصٍ صادقٍ صافٍ تقيٍ نقيٍ، هذا إذا كنتَ قد عُوفيتَ من "الحالقة" ثم يبقي عليك عملٌ آخر لا بد من القيام به، وهو أن تكون حمامة السلام، ورسول المحبة الوئام، بين إخوانك الذين تقاطعوا، فقم من فورك، وانظر حولك ستجد "الحالقة" تسري مسرى الليل البهيم، وتفتك بجدار الأخوة العظيم، ستجد

(١) متفق عليه: ينظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان باب استحباب الوضع من الدين.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠/٢٢٠).

المتقاطعين أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن يسارك، في كل حي وشارع، بل في كل مكان.

ولعلك – أيها الحبيب- قد أيقنت الآن وعرفتَ أن الذي ينغص ويفسد جو الأخوة أن يكون في القلب غلٌ وحقدٌ وحسدٌ، ينكد على الإنسان عيشته في الدنيا، فحافظ على أخيك حتى لا تصاب بهذه الهموم، قال خالد بن صفون: "إن أعجز الناس من يقصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر بهم"، وقال عمر: "لقاء الإخوان جلاء الأحزان"، ... إذاً كيف يطيب لعاقل أن يقطع أواصر الأخوة ليعيش حياة الهموم والغموم بعيداً عن فضائل الأخوة في الله ونتائجها العظيمة؟! ومن خلال هذا المنطلق وبعد تشخيص الداء سيسهل –بإذن الله- وصف الدواء، وتحلى بشروط المصلح الأمين، وعلم نفسك أن الأخوة من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، ولكي يكون المصل قوياً والحصن منيعاً ولا تستطيع "الحالقة" أن تخترقه، ولا أن تتسرب إليه، فلا بد إذاً من معرفة حقوق الأخوة في ومفسداتها، وذلك لصيانتها مما يمسها وما يعتريها من عقبات، ولكي تبقى المودة في الدنيا ويوم الدين، ولكي نكون من المتقين فـ: ﴿**الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾.

واعلم – أعزك الله- أن "الكثير من الاعتداءات على الأرواح، وضياع الحقوق، وتشتت أفراد الأسرة الواحدة، إنما يرجع أكثره إلى التهاون في الإصلاح بين المتخاصمين، حتى عمَّ الشرُّ؛ القريب والبعيد وأُهلكت

النفوس والأموال وقطع ما أمر الله به أن يوصل، وقد كان يكفي لإزالة ما في النفوس من الأضغان والأحقاد والكراهية، كلمةٌ واحدةٌ من عاقل لبيب، ناصح مخلص، تقضي على الخصومات في مهدها فيتغلب جانب الخير ويرتفع الشر ويسلم المجتمع من التصدع والانشقاق"[1].

ولو تدبرت القرآن الكريم لوجدت فيه آيات كثيرة تحث على الأمر بإصلاح ذات البين، والنهي عن التهاجر، والتقاطع، والبغضاء، والحقد، والحسد، والأمر بالاجتماع والائتلاف، والنهي عن التفرق والاختلاف، والاعتصام بحبل الله جميعاً، قال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[3]. ومعني ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإصلاح، والمعنى: أنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان، قال الزجاج: "الدين يجمعهم، فهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحواء ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ يعنى كل مسلمين تخاصما وتقاتلا، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى، قرأ الجمهور ﴿ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ على التثنية، وقرأ زيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، والحسن، وحماد بن سلمة، وابن سيرين،

(١) ينظر: مجلة التوحيد، العدد ٤٠٣، السنة ٣٤، صفحة ٦٩، مقالة لـ / صلاح الدين نجيب.

(٢) سورة الأنفال الآية: (١).

(٣) سورة الحجرات الآية: (١٠).

إخوانكم بالجمع، وقال أبو عبيدة: بين كل أخوين، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل أموركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بسبب التقوى والترجي باعتبار المخاطبين: أي راجين أن ترحموا[1].

وقال تعالى: ﴿**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[2]، عن عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنتُ جالساً مع محمد بن كعب القرظي، فأتاه رجلٌ فقال له القوم: أين كنتَ؟ فقال: أصلحتُ بين قوم، فقال محمد بن كعب: أصبتَ. لك مثل أجر المجاهدين، ثم قرأ ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[4]. وقال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[5]، فرتب الله تبارك وتعالى هذه الآيات الكريمات الثواب الجزيل على الإصلاح والتآلف بين المؤمنين وجعل ذلك من أفضل الخصال

(١) الشوكاني: فتح القدير (٥/٩٠) بتصرف.

(٢) سورة النساء الآية: (١١٤).

(٣) موسوعة نضرة النعيم (٢/٣٧٧).

(٤) سورة آل عمران الآية: (١٠٣).

(٥) سورة الأنفال الآية: (٤٦).

المنجية يوم الدين، ونبه سبحانه على أن الاعتصام بحبله والاجتماع على طاعته فيه العز والشرف في الدنيا والآخرة، وأن الاختلاف يورث الفشل والجبن وذهاب القوة والوحدة، وما كانوا فيه من الإقبال والتقدم.

ووصف سبحانه وتعالى نعيم أهل الجنة المعنوي، أو ذكر جانباً منه: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾**(١).

وفي الحديث أيضاً الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا». (شحناء) أي عداوة وبغضاء (أنظروا هذين) أي أخروهما(٢).

ومنها قوله ﷺ في حديث أبي الدرداء الذي مرَّ قبل ذلك: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلي يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»(٣).

أخي الكريم: لا بد أن تعلم أن الشيطان له غرض في بني آدم، لكن لما أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب رضي بالتحريش بين المسلمين، فشن الغارة عليهم وأتاهم من كل طريق، فمن اعتصم بحبل الله وجاهد العدو كان

---

(١) سورة الحجر الآية: (٤٧).

(٢) صحيح: مسلم (١٩٨٧/٤) رقم (٢٥٦٥) ك كتاب البر والصلة.

(٣) سبق ذكره في الباب الأول.

على سبيل نجاة، ومن اتبع هواه ولم يلتفت إلى ما أمره به مولاه كان الهلاك إليه أقرب من حبل الوريد.

فيا عباد الله اتقوا الله وراقبوه، واعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]. وأزيلوا ما في قلوبكم من الحسد والبغضاء والحقد والتهاجر، ولا تشمتوا أعداءكم بالتفرق والاختلاف، وأغيظوهم بالاجتماع والإتلاف، واشكروه على ما أسداه عليكم، ومنَّ به من النعم الدينية والدنيوية والبدنية التي لا تحصي ولا تستقصي، ولا تغيروا فيغير الله عليكم، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولا تغتروا بحلمه وستره فإن أخذه أليم شديد، واتقوا الله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[2]، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وأصلحوا قلوبكم يصلح الله أعمالكم، وأخلصوا أعمالكم يصلح الله أحوالكم، وارحموا ضعفائكم يرفع الله درجاتكم، وواسوا الفقراء يوسع الله في أرزاقكم، وخذوا على أيدي سفهاءكم يبارك لكم في أعمالكم[4].

---

(١) سورة الأنفال الآية: (٢٦).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٨١).

(٣) سورة النور الآية: (٣١).

(٤) www.ansar.net . www.dawah.ws

قال أبو أيوب الأنصاري، قال ﷺ: ﴿لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام﴾ (١).
لذلك ينبغي عليك - أيها الأخ الحبيب- أن تصلح ما بينك وبين أخيك إذا كان بينكما "خصام"، وإذا كان الله ﷻ قد عافاك مما أبتلى به كثيراً من خلقه فعليك دور لا يقل أهمية عن سابقه، وذلك بأن تصلح بين المتخاصمين حتى إن كلفك ذلك ارتكاب المحظور مثل الكذب، فقد ثبت عنه أنه ﷺ أنه قال: ﴿لَمْ يَكْذِبْ مَنْ نَمَى بَيْنَ اثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ﴾ وقال أحمد بن محمد ومسدد: "لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا"(٢). قال بن عبد البر: أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة فإن كان كذلك جاز، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية(٣).

وعن أمه أم كلثوم بنت عقبة قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان رسول الله ﷺ يقول لا أعده كاذباً، لاَ أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلاَ يُرِيدُ بِهِ إِلاَّ الإِصْلاَحَ وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِى الْحَرْبِ وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا(٤).

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٥/٢٣٠٢) رقم (٥٨٨٣)، ومسلم (٤/١٩٨٤) رقم (٢٥٦٠)، وأبو داود (٢/٦٩٦) رقم (٤٩١١)، والترمذي (٤/٣٢٧) رقم (١٩٣٢)، والمسند (٥/٤١٦) رقم (٢٣٥٧٥).

(٢) صحيح: سنن أبي داود (٤/٢٨٠) رقم (٤٩٢٠)، انظر حديث رقم: ٥٢٠٣ في صحيح الجامع.

(٣) ابن حجر: فتح الباري (١٠/٤٩٦).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤/٢٨١) رقم (٤٩٢١).

ومعني (لم يكذب من نمى) بالتخفيف أي رفع الحديث للخير والإصلاح، يقال نميت الحديث بتخفيف الميم إذا رفعه للخير (بين اثنين ليصلح) أي بينهما يعني لا إثم عليه في الكذب بقصد الإصلاح بينهما (فقال خيراً) يعني كلام خير، أو قول خير، أي لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المقتضية إلى الخير، أو يقول كلام خير الذي ربما سمعه منه، ويدع شره عنه (أو نمى خيراً) أي بلغه لهما ما لم يسمعه منهما من الخير، بأن يقول: فلان يسلم عليك، ويحبك، وما يقول فيك إلا خيراً، ونحو ذلك[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَو يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ﴾[2]. (يعدل بين الاثنين) أي يصلح بينهما بالعدل، أو توفق بينهما وتزيل الوحشية الواقعة بينهما.

وقال ﷺ: "أفضل الصدقة إصلاح ذات البين"[3]. بالفتح أي: العداوة والبغضاء والفرقة: يعني إصلاح الفساد بين القوم، وإزالة الفتنة، وإسكان الثائرة والنائرة، والمستلزم إحياء النفوس غالباً وهي من حيث عموم نفعها

(١) عون المعبود (١٣/ ١٧٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم: صحيح البخاري (١٠٩٠/٣) رقم (٢٨٢٧) و،أخرجه مسلم في: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٩/٢) رقم (١٠٠٩)، وابن حبان (١٧٤/٨) رقم (٣٣٧١).

(٣) صحيح: السلسلة الصحيحة (٢٨٩/٦) رقم (٢٦٣٩)، صحيح الترغيب والترهيب ٣ رقم (٢٨١٧).

أفضل من صدقة نفعها قاصر، ومن ذلك ما لو كانت بين طائفتين فتنة فتحمل رجل مالا ليصلح بينهم أو أخذ من المياسير لذلك. قال ابن عربي: وإذا كان الله قد رغب بل أمر المسلمين إذا جنح الكفار إلى السلم فأجرى الصلح بين المتهاجرين من المسلمين فأعظم به من صدقة[1]. لقد سار العلماء الربانيون على هذا الهدي، وتلك الطريقة، من الصفح والعفو وسلامة الصدر: قال ابن القيم رحمه الله: (وما رأيت أحدًا قطُّ أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدّس الله روحه - ، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: (وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه! وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قطُّ، وكان يدعو لهم). قال: (وجئت يومًا مبشّرًا له بموتِ أكبر أعداءه، وأشدّهم عداوةً وأذىً له، فنهرني، وتنكّر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى أهل بيته - أي ذلك الخصم الذي مات - فعزّاهم، وقال: (أنا لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه) ... فسُّروا به ودعوا له، وعظّموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه).

إنَّ الرجل العظيم كلما ارتفع إلى آفاق الكمال اتّسع صدره وامتدّ حلمه، وتطلّب للناس الأعذار، والتمس لأغلاطهم المسوغات، وأخذهم بالأرفق من حالهم. ويحسن بي في هذا المقام أن أذكر موقفاً طالما سمعناه في الفترة الماضية، وأكثر العلماء والباحثون من التنويه بشأنه، ألا وهو موقف سماحة الإمام الشيخ/ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز** - رحمه الله تعالى - مع ذلك

(١) المناوي: فيض القدير (٢/٣٩).

الرجل الخرجي الذي سبَّه وأغلظ له القول، وملخص الموقف: أنَّ رجلاً من أهل الخرج سبَّ الشيخ ابن باز - رحمه الله - وأغلظ له في القول إبان توليه قضاء الخرج (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ)، واشتهر ذلك الأمر في البلد، وما مضى وقت يسير إلا وخرج الشيخ إلى الحجِّ على عادته، فأراد الله في هذه الفترة أن يختار وديعته، فمات ذلك الرجل أثناء سفر الشيخ إلى الحج! فلمَّا قُدِّم الرجل ليُصلَّى عليه أبى إمام الجماعة أن يصلي عليه، وقال: هذا الذي سبَّ الشيخ وأغلظ له القول فلا أُصلِّي عليه! فتقدَّم أحد الناس فصلَّى عليه. فلمَّا رجع الشيخ من الحج وسمع بالخبر عاتب الإمام جدًّا على فعله، ولم يرتضِ ما صنع... ثم إنه سأل عن قبر الرجل، فأتاه فصلَّى عليه في المقبرة ثم دعا له.

صـــــفات الســـــاعي بيـــن الناس بـالصـــــلح:

وكما هو معلوم أن لكل عمل ولكل عامل شروطاً ينبغي أن تتوفر فيهما، فإن الساعي بين الناس بالصلح ينبغي عليه أن يتحلي بعدة صفات، قال ابن القيم: "فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين فهذا أعدل الصلح وأحقه وهو يعتمد العلم والعدل فيكون المصلح عالماً بالوقائع عارفاً بالواجب قاصداً للعدل فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم"[1].

وأهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الساعي بين الناس بالصلح:

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (١/١٠٩-١١٠).

١. **إخلاص العمل لله وحده**: لأن الإخلاص هو الخلاص، وما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

٢. **العلم بما يعمل**: وذلك بأن يعلم أحكام الشرعية الإسلامية في القضية التي يصلح فيها، وأن يكون علي علم بأحوال من يصلح بينهم، وذلك لأنه إذا كان جاهلاً بهذه الأمور فإنه سوف يفسد أكثر مما يصلح.

٣. **الرفق وحسن الخلق**: لأنه لو حاول الإصلاح بالشدة وحمل الناس علي القسوة فإنهم سوف ينفرون منه ولا يمتثلون لرأيه فضلاً عن تأخر الصلح وربما إلى عدمه.

٤. **الصبر وتحمل الأذى**: لأنه - ولا شك في هذا - سوف يجد كلا الطرفين مشحوناً من ناحية الطرف الآخر، وكلاهما يريد أن يكون الألحن في الحجة والأقوى في البيان، وبذلك غالباً ما تعلو الأصوات وتنتفخ الأوداج وتحمر العيون؛ فعلى الساعي بالصلح مراعاة هذه الأمور والصبر لكيلا تتعقد القضية وتصل إلى طريق مسدود.

٥. **جواز الكذب للصلح بين الناس**: فلأهمية الإصلاح أباحت الشريعة الكذب لأجله ولعلنا عرضنا لهذه النقطة مسبقاً[1].

٦. **ألاَّ يكون بينه وبين الناس "بين"**: فمن المفارقات الغريبة أن تجد بعض المصلحين والساعين بين الناس بالصلح قد قاطع بعض الناس وخاصمهم، فلو قام بهذه المهمة – الإصلاح- فإنه في العادة لن يكون واقعياً فضلاً عن

(١) استفدت في هذه النقاط من مقالة لـ / صلاح الدين نجيب، مجلة التوحيد، العدد ٤٠٣، السنة ٣٤، صفحة ٧١.

كونه سيكون مرفوضاً، فينبغي عليه أن يكون: "عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر".

يأيها الرجلُ المعلمُ غيرَهُ هلا لنفسِكَ كان ذا التعليمُ؟
إبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَنْهها عَنْ غِّيها فَإذا انْتَهَتْ عَنْه فَأَنْتَ حَكيمُ
فَهُنَاكَ تُقبَلُ إنْ وَعَظْتَ وَيُقتَدى بِالقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْليمُ
لا تَنْه عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظيمُ[1]

وقال الله: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾[2] ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، ولذلك قال علي ﷺ: قصم ظهري رجلان، عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه. والله أعلم[3].

تحـــــــذيـــر حـــــــار لـــكل مـــدبـــر فـــــــــار:

أخي: إياك أن تترك (الحالقة) تنتشر بين إخوانك، إياك أن تكون من أعوان الشيطان فيكون من أعوانك، إياك أن تتقاطع فتهلك دينك وتخسر أيامك، إياك فقد دنا الموت وجاء أوانك، إياك أن تعلم بهذا الكلام فلا تعطه اهتمامك، فتهدر إسلامك وإيمانك.

---

(١) لطائف المعارف (١/١٧)، شرح كتاب الأمثال (١/٩٣ ، ٩٤).

(٢) سورة البقرة الآية: (٤٤).

(٣) إحياء علوم الدين (١/٥٨).

أخي: إن علمك وعدم عملك لهو الخسران، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. وقال أبو الدرداء ﷺ: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال الشعبي: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار؟ وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟! فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله. وقال حاتم الأصم رحمه الله: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علَّم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو. وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. وأنشدوا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبةً فيها[1]

أخي: لا بد وأن تعلم أنك قد تكون سبباً مباشراً في أن يقع الخصام بينك وبين أخيك، وقد تكون أنت السبب في عدم الصلح بين الأخوة، وذلك بأن تسمح لنفسك أن تسمع للقيل والقال، وتنقل ما قلته بطريقة أو أخرى، ولو سكتَّ لكان خيراً لك، واسمع إلى تجربة عصرية حدثت مع أحد العلماء قال: قلت لبعض إخواني: ألزم الأدب، وفارق الهوى والغضب، أو أمسك

(١) إحياء علوم الدين (١/٦٣).

عليك لسانك وابكِ على خطيئتك، وانظر حالك وردد ما قلته لك على أمثالك، وقد كنت سمعت منه قيلاً وقال، وجرح وثلب وهمز ولمز في أناس ما سمعنا عنهم إلا خيراً وهم من أهل الفضل، فما رأيناهم إلا يعملون الخير ويدعون له ويسعون للبر وينهون عن الإثم، فما استجاب لي وما سمع مني، فرأيت أن ألزم الصمت معهم وفيهم ولهم وعليهم، فأقبلت على واجباتي أيما إقبال وأرحت قلبي من الأحقاد والأغلال وذهني من الهواجس والأفكار، ثم جاء بعض الفضلاء وقال: يقولون فيك كيت وكيت، يعلم الله ما التفت إليهم ولا تأذيت، وقلت لهم: رب كلام جوابه السكوت، ورب سكوت أبلغ من كلام، وعلمتني الحياة أن الصفح الجميل من أحسن الشيم.

قالوا سكت وقد خُصِمت فقلت لهم إن الجواب لباب الشر مفتاحُ
الصمت عن جاهل أو أحمق شرف أيضاً وفيه لصون العرض إصلاحُ
أما ترى الأُسد تُخشى وهي صامتة والكلب يَخشى لعمري وهو نباحُ[1]

فكن – أخي- مصالحاً ومصلحاً لإخوانك فما أحوجنا يوم القيامة إلى حسنة تكون لنا نوراً وبرهاناً، فاستعمل وسائل الإصلاح وأخلاق المصلحين، لتقرب البعيد، وتبعد الغريب، وتذل الشيطان المريد، وتجعل المخاصم والمقاطع والعدو حبيب، والصدر سليم ورحيب، فطوبي لمن أجاب فأصاب وويلٌ لمن طرد عن الباب فخاب.

(١) محاضرة بعنوان: غثاء الألسنة، لفضيلة الشيخ /إبراهيم الدويش: anaheho@maktoob.com

الخـــاتمـــة، وفيـهـــا: أولاً: نـصـــائح لـلأخـــــــوة والأخـــــــوات.

ثانياً: أهـــــــم النتـائـج والتـوصـيـــــات.

أولاً: نصـــــائح لـلأخــــــوة والأخــــوات:

وقبل أن ألملم أوراقي وأتركك في رعاية الله وأمنه - أيها الحبيب- لا بد من تحصين الأخوة بمصلٍ واقٍ كي لا تتسرب إليها تلكم "الحالقة"، وإنَّ من أفضل وسائل تقوية الأخوة وتعميق أواصرها لكي تأخذ مناعة ضد الصدمات، واللكمات، والهفوات، والعقبات:

إفشاء السلام ـ المصافحة ـ التودد ـ الهدية ـ إخبار من تحب أنك تحبه ـ التواضع ـ التزاور في الله[1] ـ حسن الظن وقبول الظاهر ـ الإغضاء وعدم الاستقصاء ـ النصيحة للإصلاح ـ إنهاء المراء والجدال حالاً ـ إعدام الخلاف ـ سد باب النقل ورد قالة السوء ـ استعمال الرحمة والرفق وخفض الجناح ـ قضاء الحوائج وتفقد الإخوة ـ بذل الندي وكف الأذى واحتمال الأذى[2] ـ معرفة آفات الأخوة والوقاية منها.

أخي الحبيب:

ولم أقدر علي إخفاء حالٍ ... يحول بها الأسى دون التأسي
وحبك مالك لحظي ولفظي ... وإظهاري وإضماري وحسي
فإن أَنْطِقْ ففيك جميعُ نطقي ... وإن أسكُتْ ففيك حديثُ نفسي[3]

---

(١) فيصل بن عبده قائد الحاشدي، نعمة الأخوة ص ٩٣.

(٢) فضيلة الشيخ/ محمد حسين يعقوب، الأخوة أيها الأخوة ص ٥١.

(٣) فيصل بن عبده قائد الحاشدي، نعمة الأخوة ص ١١٩.

لذلك لا بد وأن تعلم أن الأخوة شقيقة الإيمان، والفرقة أخت الكفر، وأقل القوة وحدة الصف، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه درجةً الإيثار، فبذلك تواصوا[1].

ثانيـــاً: أهـــــم النتـــائـــج والتـــوصـــيـــات:

أعلم – أيها الحبيب- أن ظاهرة "الحالقة" ليست وليدة هذه الأيام، بل لها جذور ضاربة في أعماق التاريخ منذ آدم عليه السلام، حيث قابيل وهابيل، إلى أيامنا هذه، والكيس الفطن من تعلم من أخطاء الغير، العبرة والدرس، كي لا يقع فيها، وها نحن وصلنا إلى نتائج من خلال هذا البحث تحثنا على أمور كثيرة لعل منها:

١) انتشار ظاهرة العداوة والبغضاء بين المسلمين خطر عظيم يجب التحذير منه فضلاً عن تجنبه.

٢) حرمة الظاهرة وما يترتب عليها من أمور.

٣) الابتعاد عن الجدال والمراء الذي لا طائل من وراءه.

٤) ضرورة تجنب الأسباب الباعثة على الجدال كـ "الغرور، والكبرياء، والخيلاء، وإظهار العمل والفضل، والاعتداء على الغير بإظهار نقصه وقصد أذاه.

٥) ضرورة الابتعاد عن سوء الظن.

٦) وجوب التحلي بحسن الظن والتماس المعاذير.

---

(١) فضيلة الشيخ/ محمد حسين يعقوب، الأخوة أيها الأخوة ص ٢٨٢.

٧) الدفع بالحسنى –وهي إحدى صور الإحسان- يقضي على العداوات بين المسلمين ويبدلها صداقة حميمة، ومودة رحيمة وتنطفئ بذلك نار الفتن، وتنتهي أسباب الصراعات، أما الدفع بالسيئة، أي مقابلة السيئة بمثلها فإنه يؤدي إلى تدهور العلاقات، وإشعال نيران الفتن وتفاقم الصراع، ويهبط بالنوع البشري إلى حضيض التخلف ويُعرض بقاءهُ لخطر الفناء.

٨) فضيلة كظم الغيظ وترك الغضب.

٩) حرمة بذاءة اللسان: كالسب، والشتم ، واللعن، والسخرية.

١٠) نهي الإسلام عن الإتيان بأسباب التنازع والفرقة بين الإخوان، كالهمز واللمز والتنابز بالألقاب السيئة، وكل ما يؤذي كالتجسس والغيبة والنميمة.

١١) حماية الفرد المسلم من نقاط ضعفه التي جبل عليها، وفي الوقت نفسه حماية المسلم الآخر من هذا الضعف وألوانه.

١٢) وجوب حفظ اللسان والعمل على صيانته لأنه سلاح ذو حدين.

١٣) حفظ حقوق الأخوة والبعد عن مفسداتها.

١٤) فضل العفو والمسامحة والتغافل.

١٥) فضيلة الرسائل في نشر الفضائل وطي الرذائل.

١٦) وجوب الإصلاح بين الناس عموماً وبين الأخوة خصوصاً.

١٧) وجوب التحلي بصفات المصلحين القائمين بالصلح بين الناس.

١٨) فضل القيام بعملية الإصلاح بين المتخاصمين.

١٩) الإصلاح بين المسلمين إذا تنازعوا واجبٌ لا بد منه لتستقيم حياةٌ المجتمع ويتجه نحو العمل المثمر.

٢٠) بالإصلاح تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية، ولذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه.

٢١) الإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو.

٢٢) الإصلاح منبعه النفوس السامية ولذا كان النبي ﷺ يخرج بنفسه للإصلاح بين الناس.

٢٣) اكتساب الحسنات والثواب الجزيل من جزاء الإصلاح بين الناس.

٢٤) إصلاح ذات البين أفضل من نافلة الصيام والصلاة والصدقة.

٢٥) يثمر المغفرة للمتخاصمين عند المصالحة.

٢٦) عدم الإصلاح يؤدي إلى استشراء الفساد وقسوة القلوب، وضياع القيم الإنسانية الرفيعة.

٢٧) الإصلاح بين الناس عهدٌ أُخِذَ على المسلمين.

وإياك – أخي الكريم- من تعيير الناس وسبهم، والتعريض أو التصريح بالمعايب النفسية والبدينة، والغيبة والنميمة، وتمني زوال النعمة من أخيك، وكل ذلك يدل على خبث الطوية، ودناءه الهمة.

وأخيـــــــــراً : وصـيـــتي وهـــــــديتـــــي إلـى أحبـتـي :

يا زارعاً تلك الحدائق في البلاد مشيداً تلك القصـور
هلاَّ زرعت الحب والإخلاص والعفو وطهَّرت الصدور
هلاَّ عرفت بأن دنيانا تغر وحبها يودي إلى عشق الدهور
هلاَّ نظرت إلى وجوه الناس والإحساس في تلك القبور
وسألت أطباق الثرى عمَّا جرى فهناك ينبئك الخبير
أن الجنادل والتراب وطول ليلٍ تحت أطباق الصخور
قد بددت تلك المحاسن قد غيرت تلك الأمور
فتحولت من كبرها وعنادها ترجو الغفور
تندم على تفريطها بالويل تدعو وبالثبور
لا مال ينفعها هناك ولا عشيرة أو عشير
فارجع أخيه إلى الحقيقة راضياً تكن الأمير
يوم القيامة جالساً بين الجنان ولابساً ثوب الحرير
والقلب يسعدُ كل يومٍ والربى بك تستنير
يوماً تنام هنا ويوماً تستشف من الغـدير
لبناً وعسلاً وخلوداً دائماً طيراً يطير
حلق على أشجارها واجلس ونم فوق السرير
فالله أعطاك السعادة والزيادة حلة فهو الكبير
دع عنك حالقة وعصياناً هنا تسعد ولا تخشى النذير

كن صالحاً كن مصلحاً بين العباد ولا تكن أبداً حقير
فالنفس قائدة إلى ظلم العباد وظلمها دوماً مرير
شيطانها دوماً يزين وينمي بغضها وبه يشير
فافهم أخيه كيده وعداؤه وشراكه هذا الخطير
بكتاب ربك كن أخي مستمسكاً وبهديه كن مستجير
بالعفو تسمو بالتسامح ترتقي وبضده تكن الصغير
فابدأ وقم نحن المعالي شـامخاً قـم بالنفـير
مودعاً هذا التقاطع قائماً بين الأحبة كالسفير
بهدية ورسالة فيها المودة والمحبة والعبير
ولك السلام مني دوماً خالصاً حتى نصير
لعفو ربٍّ راحمٍ يغفر ويرحم من كان به يسير[1]

هذا وإن كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله منه براء، وإن كان من توفيق ورجحان فمن الواحد الرحمن، ثم بصالح دعوات الإخوان، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وأسأله سبحانه أن يصلح ذات بيننا وأن يغفر لوالدي ووالدتي، وأهلي، وأولادي، ومشايخي، وأساتذتي، ولجميع المسلمين، ولكل من كان له فضلٌ عليَّ، ولمن ساعدني في بحثي هذا، ولمن اطَّلع عليه، ولمن أرشدني إلى عيوبي، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ، ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) هذه الأبيات من إنشاء المؤلف تنشر لأول مرة هنا.

﴿ قائمة بأهم المصادر والمراجع ﴾

١. القرآن الكريم[1].

٢. كتب السنة.

٣. أحمد فريد، دكتور. الحب في الله وحقوق الأخوة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار العقيدة للتراث.

٤. خالد بن حامد الحازمي، أستاذ دكتور: مساؤي الأخلاق وأثرها على الأمة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، سنة ١٤٢٥هـ، الطبعة الأولى.

٥. عمر بن عبد العزيز قرشي، دكتور. طاعون العصر الفرقة بين المسلمين وعلاجها في الكتاب المبين، ط ١، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م، دار الاستقامة.

٦. سعد يوسف أبو عزيز، صحيح وصايا الرسول، المكتبة التوفيقية.

٧. وموسوعة الحقوق الإسلامية، المكتبة التوفيقية.

٨. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أستاذ دكتور، (آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة) ط ٤ لسنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م، مكتبة التوعية الإسلامية القاهرة.

(١) أخي الكريم: يجب أن تلاحظ جيداً أن بعض المراجع التي أخذتُ منها في بحثي هذا وذكرتها في مواضعها في الحواشي السفلية ولم أثبتها في هذه القائمة، فهي من الموسوعات الالكترونية المبرمجة على الأقراص المدمجة "إسطوانات أو سي ديهات" وقد ذكرتُ أسماء هذه الموسوعات في نهاية هذه القائمة، ليتمكن من يريد الرجوع إليها من ذلك؛ أما المراجع التي أخذتُ منها عن طريق الكتب المطبوعة ففي هذه القائمة مفصلة.

٩. سـيد حـسين العفـاني، دكتـور. رهبـان الليـل، ط ٨ ، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م .

١٠. فيصل بـن عبـده قائـد الحاشـدي: نعمـة الأخـوة، أهميتهـا ـ آدابهـا ـ حقوقها، دار الإيمان.

١١. محمـد أحمـد إسماعيـل المقـدم، دكتـور، الهويـة الإسـلامية، ط ١ ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار ابن الجوزي.

١٢. محمـد حـسين يعقـوب، الـشيخ. الأخـوة أيهـا الأخـوة، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣. قـصة الالتـزام والـتخلص مـن رواسـب الجاهليـة، ط ١ ، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م ، مكتبة سوق الآخرة، توزيع دار ابن الجوزي.

١٤. هـشام بـن عبـد القـادر بـن محمـد آل عقـدة، أبـو عاصـم: في ريـاض الأخوة ... مفسدات الأخوة ، دار الصفوة، ط ١ ، ١٤١٨هـ.

١٥. وحيد عبدالسلام بالي، الشيخ، وقاية الإنسان من الجن والـشيطان، دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة ١١.

١٦. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد/ مجموعة من المختصين بإشراف/ صالح بن عبدالله بن حميد، عبـدالرحمن بـن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيـع، جـدة، المملكـة العربية السعودية، الطبعة ٣، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٧. مجلة التوحيد، العدد ٤٠٣ ، السنة ٣٤.

١٨. المكتبة الشاملة، **nafeemail@yahoo.com** .

١٩. مكتبة الألباني، الإصدار الأول.

٢٠. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية، شركة الخطيب، الإصدار ١,٥ لسنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢١. برنامج قالون، إصدار رقم ١,٠ رمضان ١٤٢١هـ، شركة سيمافور.

٢٢. محاضرة بعنوان: غثاء الألسنة، لفضيلة الشيخ/إبراهيم الدويش**anaheho@maktoob.com**

٢٣. خالد بن أحمد بابطين، نشر الورود والرَّياحين بإصلاح ذات البيْن وسلامة الصُّدور للمؤمنين. **http://www.saaid.net**

٢٤. **www.dawah.ws**

٢٥. **http://www.islammemo.cc/wpoll/default.asp**.

٢٦. **www.ansar.net**

* * *

﴿ الفهـــرس ﴾

المحتـــــويـــــات:	الصفحة
مقدمة فضيلة الشيخ/ **عادل بن يوسف العزازي:**	٨
مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور/ **إبراهيم عبدالمنعم الشربيني:**	٩
المقـــــدمة:	١٢
خطة البحث:	١٧
البـــاب الأول:	١٩
المبحث الأول: تعريف الحالقة:	٢٠
الأدلة القرآنية على حرمة الحالقة:	٢٤
المبحث الثاني: الأدلة على حرمتها وشيء من فقهها:	٢٦
الحديث الأول:	٢٦
الحديث الثاني:	٢٩
الحديث الثالث:	٣٠
الحديث الرابع:	٣١
الحديث الخامس:	٣٢
المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ لمنع وقوع الحالقة:	٣٣
المبحث الثالث: تهيئة القلوب لترك حالقة الحسنات وجالبة الذنوب:	٣٧
الباب الثاني:	٥١

المبحث الأول: الذنوب والمعاصي ومضارها على العباد في الدارين.	٥٢
مضار الذنوب والمعاصي على العباد في الدارين:	٥٨
الذنوب سبب لوقوع الحالقة:	٦٤
المبحث الثاني: الجدال: أنواعه، أسبابه، وعلاجه:	٦٧
أنواع الجدال:	٦٩
الأسباب الباعثة على الجدال بالباطل:	٧١
بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له:	٧٧
من أخلاق السلف:	٨٥
المبحث الثالث: سوء الظن، أسبابه، التحذير منه، وعلاجه:	٩٢
الأسباب الباعثة على سوء الظن:	٩٤
التحذير من سوء الظن في القرآن:	٩٥
التحذير من سوء الظن في السنة:	٩٧
المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ لمنع وقوع "سوء الظن":	١٠١
أقوال السلف:	١٠٣
أفعال السلف لمنع وقوع سوء الظن:	١٠٥
علاج سوء الظن:	١٠٧
المبحث الرابع: الغضب: التحذير منه، مظاهره، وعلاجه:	١١٢
التحذير من الغضب في القرآن:	١١٤
التحذير من الغضب في السنة:	١١٧
وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقتين:	١٢٣

أقوال السلف في الغضب:	١٢٥
أسباب الحلم عشر:	١٣١
المبحث الخامس: بذاءة اللسان: أنواعها، وعلاجها:	١٣٤
العلاج الجزري:	١٤٦
المبحث السادس: الوقوع في مفسدات الأخوة: صورها، وعلاجها:	١٥٢
الباب الثالث	١٦٨
المبحث الأول: العفو: فضله، ودوره في العلاج الجذري:	١٦٩
العفو في حياة النبي ﷺ:	١٧٠
أقوال وأفعال السلف في العفو:	١٧٢
أصحاب النبي ﷺ من أعظم الناس سلامةً للصدُّور:	١٨٣
لا تتوهم أنك بعفوك تكون ضعيفاً:	١٨٥
المبحث الثاني: الرسائل: أقسامها، دورها في العلاج، ونماذج منها:	١٩١
القسم الأول: الرسائل الصامتة:	١٩٢
فضل الهدية:	١٩٦
القسم الثاني: الرسائل الناطقة:	٢٠١
الرسائل الهاتفية:	٢٠٥
دور الرسائل في نشر الفضائل:	٢٠٧
المبحث الثالث: في الإصلاح بين المتخاصمين، وصفات المصلِحين:	٢١٨
صفات الساعي بين الناس بالصلح:	٢٢٩

تحذير حار لكل مدبر فار:	٢٣١
الخـــاتمـة:	٢٣٤
أولاً: نصائح للأخوة والأخوات.	٢٣٤
ثانياً: أهم النتائج والتوصيات.	٢٣٥
وأخيراً: وصيتي وهديتي إلى أحبتي:	٢٣٨
المصـــادر والمـــراجـــــع:	٢٤٠
الـفـهـــرس:	٢٤٣

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وخير ما أختم به كتابي هذا: دعاء كفارة المجلس: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"(١).

للهدايا وطلبات الجملة وطلبة العلم والمساجد والأئمة والتوزيع الخيري يُرجى التواصل مع المؤلف على هاتف رقم ٠١٠٠٢٦٢٨٢٧٠(٠٠٢)

* * *

(١) (ت) (٣٤٣٣)، (حم) (١٠٤٢٠)، (حب) (٥٩٤)، (طس) (٦٥٨٤)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٦١٩٢)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: (١٥١٦).

﴿ المـؤلـف في ســطـور ﴾

- د/ نجيب عبدالفتاح جيلاني محمد.
- الجنسية/ مصري.
- العمل/ إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية منذ سنة ٢٠٠١م وحتى الآن.
- عضو الرابطة العالمية لخريجي جامعة الأزهر الشريف.
- باحث شرعي ومستشار شرعي لشركة **Raad Algen** الألمانية منذ أبريل ٢٠١٣م.
- حاصل على درجة العالمية "الدكتوراه" بجامعة الأزهر.كلية اللغة العربية بالقاهرة. قسم التاريخ والحضارة. تخصص حضارة إسلامية سنة ٢٠١٢م. عن موضوع (كتاب الأنساب للسمعاني دراسة حضارية) بتقدير مرتبة الشرف الأولى.
- حاصل من جامعة الأزهر .كلية اللغة العربية بالقاهرة. على ماجستير التاريخ والحضارة سنة ٢٠٠٨م بتقدير "ممتاز"، تخصص حضارة إسلامية عن موضوع (الحركة العلمية في مرو من بداية القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن السابع الهجري (٣٠١- ٦١٨هـ/٩١٣م - ١٢٢١م).
- حاصل من جامعة الأزهر .كلية اللغة العربية بالقاهرة. ليسانس التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ٢٠٠٠م بتقدير "جيد".
- طُبِعَ للمؤلف/ (أقوال للمتأملين وتنبه للغافلين)، و(قصص منتقاة للأئمة والدعاة)، و(أحذروا الحالقة)، و(قطوف دانيات من ثمار الصدقات)، و(علاج الهموم من سنن المعصوم).
- للمؤلف تحت الإعداد والطبع/ (مخالفات شرعية على مواقع التواصل الاجتماعية)، و(خواطر وتأملات)، و (أقوال للمتأملين وتنبيه للغافلين ج٢).
- الهاتف/ ٠١٠٠٢٦٢٨٢٧٠ (٠٠٢).
- الإيميل/ Dngelany75@yahoo.com

أقوال للمتأمل
وتنبيه للغافل
علاج الهموم
من سنن المعصوم
قطوف دانيات
من ثمار الصدقات
تقديم فضيلة الشيخ
ثروت لطفي أبوا لمجد
بقلم الدكتور
نجيب عبد الفتاح جيلاني
قصص منتقاة
للأئمة و الدعاة
جمع و ترتيب
د. نجيب عبد الفتاح جيلاني
احذروا الحالقة
قدم له من أهل العلم
فضيلة الشيخ / عادل بن يوسف العزازي
فضيلة الدكتور / ابراهيم عبد المنعم الشريبي
بقلم الدكتور
نجيب عبد الفتاح جيلاني